

علي احمد باكثير

علي أحمد باكثير

اخناتون ونفرتيتي

مسرحية شعرية

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الإهداء

إلى الجامع بين العصامية وشرف الأرومة .

إلى مثال الجد والعمل والاستقامة والتقوى والبر والإحسان .

إلى خالى الأعز الأمجد الشيخ محمد بن عبد الرحمن أبو بسيط .

أهدى هذه الدرامة الإلهية .

اعترافا برعايته الأبوية لى وفضله الكبير على وتقديرا لمكارمه ومزاياه

علي أحمد باكثير

هذه مسرحية « إخناتون ونفرتيتى » .

أعود إليها بعد تسعة وعشرين عاما منذ عايشتها وكتبتها سنة ١٩٣٨ .

فأقدمها اليوم للقراء العرب كما خرجت للناس فى طبعتها الأولى سنة ١٩٤٠ .

أقدمها منتشيا مما أجد فى سطورها من أنفاس شبابى الأول ،

ومغتبطا لما أصابت من حظ عظيم .

إذ صارت نقطة انقلاب فى تاريخ الشعر العربى الحديث كله .

فقد قدر لها أن تكون التجربة الأم فيما شاع اليوم تسميته بالشعر الحر أو الشعر التفعيلى وأسميته أنا قديما الشعر المرسل المنطلق .

تجربة انطلقت فى منيل الروضة على ضفاف النيل بالقاهرة .

ثم ظهر صداها أول ما ظهر فى العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين بدر شاكر السياب ونازك

الملائكة بعد انطلاقها بعشرة أعوام .

ثم مالبث أن شاع هذا الشعر الجديد فى العالم العربى كله .

وإن مما أعتز به من الذكريات أن أديب العربية الكبير. الأستاذ إسعاف النشاشيبى — رحمه الله — كان لا يلقانى فى القاهرة إلا أبدى لى كبير إعجابه بهذه المسرحية وحدثنى أن هذا الضرب الجديد من الشعر قد مس وترا فى قلبه فنظم قصيدة على منواله .

وأن الشاعر السياب — رحمه الله — كان يذكر لى هذا السبق فى كلمات الإهداء التى كان يخطها على كتبه المهداة إلى .

وما أذكر هذا مفاخرا — يعلم الله — ولكن للحقيقة والتاريخ فقد شاع بين النقاد خلط كثير فى هذه القضية .

ولعل فى نشر هذه المسرحية اليوم من جديد ما يصحح كثيرا من الأخطاء فيما يكتب عن الشعر العربى الحديث من دراسات .

والله الموفق .

٩/ ١ / ١٩٦٧ م

المؤلف

تقـدمة

هذه ثمرة أخرى يجنينا إياها الصديق السيد أبـو كثير ـــ كثر الله خيره ـــ من بستان أدبه . وكانت الأولى مما ترجم عن شكسبير ـــ قرأته منسوخـا وراجعتـه على الأصل وشهـدت للصديـق بالدقـة والاقتدار وبقى فى نفسى شك فى صلاح البحر الذى تخيره لهذا الضرب من الشعر المرسل الذى يجرى فيه الحوار التمثيلى .

ولشد ما تمنيت وأنا أتلقى من الصديق كتابه الجديد لو أنه كان قد جعله قصة منثورة فقد درس إخناتون وعصره درسا يعين على التوسع المشبع . ولكنـه شاعر .. وماذا تنتظر من الشاعر إلا أن يشعر ؟؟ وفى إخناتون نفسه ـــ وهو موضوع الكتاب ـــ شاعرية معدية . على أنى ما لبثت أن راجعت نفسى فيما تمنيت فقد وجدت فى شعر الصديق أبى كثير تحدرا وسلاسة وسهولة لا تدع للنثر مزية . والنظم قيد ، ولكن أبا كثير لا يعيا به ولا يشعرك أنه تكلف فيه جهدا ولا يكاد قارئه يدرك أن هذا شعر موزون .

وقد كانت الصعوبة الكبرى فى نظم القصص التمثيلى أن بحورنا تغلب عليها الموسيقية فهى لا تكاد تصلح للحوار فما كل كلام يستحق أن يجرى مجرى الموسيقى أو بالذى يطيب فى السماع أن يجرى هـذا المجرى فالحاجة شديدة إلى بحر يتسع ويتحدر ولا يضيق بألوان الحوار الطبيعى ولا يثقل على القارىء منه ، الترقيع والتنغيم ، ولا يبدو على الكلام من جراء ذلك أثر التكلف . وأحسب أن الصديق أبا كثير قد وفق فى اختيار بحر لشعره التمثيلى يسهـل وروده على الأذن ويطرد فيه الكلام اطراد النثر .

وليس هذا كل ما تمتاز به القصة فقد استطاع السيد أبو كثير — ومعذرة إذا كنت أحرف اسمه قليلا أو أرده إلى الصحة — أن يصور عصر إخناتون ، والبوادر المنبئة بوشك التطور ، وشخصية هذا الملك المسيحى الروح ، الشاعر ، الحالم ، المؤمن بأن له رسالة روحية واجبة الأداء والتبليغ ، وما انطوت عليه نفسه من روح الطفولة ، المحببة التى هى قرين الشاعرية ، وأن يرسم لنا شخصية الملكة « تى » ومطامعها وذكاءها وبعد مطارح همتها وغيرتها الطبيعية — فما تستطيع إلا أن تكون كما خلقها الله ، امرأة — ثم سكون الغيرة مع البعد من الملكة نفرتيتى ، وما أفضى إليه هذا من التغير

فى رأيها وإحساسها ، ثم الملكة نفرتيتى وجمالها ودلالها وعذوبتها وظرفها وخيالها وشعورها بالأمومة وتفاعل الخيال والغيرة فى نفسها وطموحها ، والقائد حور محب الحكيم ، وتاى واغتباطها بالزواج بعد طول اليأس ، وحبها لإخناتــون ، وإيمانها برسالتــه ، والكهنــة وحرصهــم على سلطــانهم ومكرهــم ودسائسهــم ومساعيهم .

وأوجز — فإن الورق غال فى هذه الأيام — فأقول إن كتاب الصديق السيد أبى كثير تحفة جديرة بإكبار الأدباء والمؤرخين ، وبشرى أيضا بظهــور كــوكب جديد فى عالم الشعر . وقد قضيت فى قراءة هذه القصة البارعة ساعات يسرنى أن أعترف بما فزت فيها من متعة العقل والنفس وأن أشكر لصديقى أنه أتاحها لى .

إبراهيم عبد القادر المازنى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾

(قرآن كريم)

أبوكم أبى يوم التفاخر يعرب
وجدكمو فرعون أضحى بكم جدى

« المؤلف »

مقدمة الطبعة الأولى :

هذه مسرحية شعرية أقدمها إلى قراء العربية . أردت بها أن أسجل مجدا من أمجاد هذا الشرق العربى فى تاريخه القديم وأصور شخصية عظيمة رائعة عاشت تحت سماء وادى النيل العزيز قبل زهاء ثلاثة وثلاثين قرنا وقامت بجهاد روحى نبيل ورسالة فكرية سامية يشهدان بأن هذا الجزء من الأرض (الوطن العربى اليوم) لم يزل منذ الأزمنة الموغلة فى القدم مهد الرسالات الإنسانية العظمى ومطلع شموس الفكر والحضارة والعرفان والحكمة والبيان .

إن حياة إخناتون كما تصوره هذه المسرحية لحياة ملأى بالعبر والعظات . حافلة بمواقف البطولة

والتضحية ، والجهاد فى سبيل المثل العليا فى الحياة ، والسعى لإدراك الحقيقة الخالدة .

ولعلنا أبناء العرب وأحفاد الفراعنة والبابليين والأشوريين والفينيقيين والقرطاجيين وعاد وقوم تبع . وورثة تلك الحضارات كلها التى توجتها العناية الإلهية بالحضارة المحمدية لتشهد الدنيا منا خير أمة أخرجت للناس ولنكون شهداء على الأمم — نتعظ ، فيما نتعظ به من أحداث تاريخنا الأكبر وسير رجاله وأبطاله بحياة جدنا هذا العظيم وما أصابه فى جهاده من نجاح ومن إخفاق فنتعلق بأسباب الأول ونتقى مهاوى الثانى ونزداد فى الوقت إيمانا بوحدتنا الكبرى تحت زعامة مصر الناهضة ، موئل الفصحى وملتقى آمال العرب — تلك الوحدة التى يؤيدها الماضى ويقتضيها الحاضر ويتهلل لها المستقبل لصالحنا ، وهذا هو معنى العروبة ، ولصالح الإنسانية جمعاء وهذا هو معنى الإسلام .

النظم المرسل المنطلق

لما ترجمت (روميو وجوليت) لشكسبير إلى الشعر العربى قبل زهاء ثلاث سنوات استعملت هذا (النظم المرسل المنطلق) أو بالتعبير الإنجليزى (Running Blank Verse) كما عليه الأصل إذ اهتديت بعد التفكير إلى أنه

أصلح نظم لترجمة شكسبير إلى العربية وقد وجدت أن البحور التى يمكن استعمالها على هذه الطريقة هى البحور التى تفعيلاتها واحدة مكررة كالكامل والرمل والمتقارب والمتدارك إلخ . أما البحور التى تختلف تفعيلاتها كالخفيف والطويل إلخ فغير صالحة لهذه الطريقة فكان أن استعملت البحور الصالحة كلها فى ترجمة روميو وجوليت . ثم لاحظت أن أصلح هذه البحور كلها وأكثرها مرونة وطواعية لهذا النوع الجديد من الشعر هو البحر المتدارك فالتزمته فى هذه المسرحية . والبيت الواحد هنا يتألف غالبا من ست تفعيلات وقد ينقص عنها ولا يزيد عليها إلا فى النادر . كما أن البيت هنا ليس وحدة كما هو الحال فى الشعر العربى المألوف وإنما الوحدة هى الجملة التامة المعنى فقد تستغرق هذه الجملة بيتين أو ثلاثة أو أكثر دون أن يقف القارىء إلا عند نهايتها وهذا هو معنى المنطلق هنا . أما معنى المرسل فواضح أى أنه مرسل من القافية . على أن النظم فى هذه المسرحية لم يتحرر التحرر المطلق من سلطان القافية إلا فى الفصل الثانى وما بعده ولا يصعب تعليل ذلك على من يعلم أن القافية تعين الشاعر على السبح أكثر مما تعوقه عنه .

وهذه الطريقة تختلف اختلافا أساسيا عن الطريقة التى سلكها كثير من الشعراء المحدثين كالزهاوى وأبى

حديد وغيرهما مما أسموه الشعر المرسل ، فالنظم على طريقتهم تلك لا يختلف عن النظم العربى القديم إلا فى إرساله من القافية.وإذا اتفق أحيانا أن البيت ليس بوحدة فيه من حيث المعنى أو الإعراب فإنه على أى حال يكون وحدة مستقلة من حيث النغم الموسيقى أى أن النغم لا يطرد فى بيتين بل ينقطع عند نهاية البيت الأول ويبتدىء من جديد فى أول البيت التالى وهكذا دواليك . وفى نظرى أن هذه الطريقة الجديدة التى لم أعلم أحدا سبقنى إليها هى أصلح طريقة للشعر التمثيلى . ويطول بى الكلام إذا ذهبت أشرح بالتفصيل وجاهة هذا الرأى فلأترك ذلك لأفهام القراء أنفسهم ولتجربة من يعنيهم الأمر من المشتغلين بالفن التمثيلى فى أدبنا العربى .

المؤلف

أشخاص الرواية

الأمير	: فيما بعد (الملك أمنوفيس الرابع) أخيرا (إخناتون)
الملك أمنوفيس الثالث	: والد إخناتون
الملكة تى	: والدة إخناتون
الملكة نفرتيتى	: زوجة إخناتون
آى	: والد نفرتيتى
تاى	: مربية الأمير وزوجة آى
حور محب	: كبير القواد
سمنقارا (سمنخ كارا)	: زوج ابنة إخناتون وظهيره فى الملك
نخت	: الوزير
ماى	: أمير القصر
آبى	: القهرمان
ماهو	: كبير الشرطة
عميد أمون	: رئيس كهنة آمون
عميد رع وعميد فتاح	: رئيسا كهنة رع فتاح
جابى ورانى وسادى	: من كهنة آمون
طبيب الملك	: وصائف وغلمان وموسيقيون إلخ
مكان الرواية	: طيبة وأخيتاتون
زمانها	: القرن الرابع عشر قبل الميلاد

مُقَدِّمَةٌ

المؤامرة

(إخناتون)

الفصل الأول

المنظر الأول

فى معبد آمون بطيبة فى قبو داخلى ـــ جماعة من كهنة آمون يعقدون مجلسا سريا .

جانى : يا حزبَ الربِّ أمونَ ويا إخوانى الكرام
أين أنتم ؟ أرى النار تأكل فيكم وأنتم نيام .
ويلى ! إيموت أمون وأنتم تعيشون ؟
أيُكادُ الرّبُّ وأنتم على نصره قادرون ؟
أو ما تُبصرون المصير الذى يتهدد أيامكم
أو ماتبصرون العدوّ الذى سيزلزل أقدامكم ؟
لكأنى ببُنيان معبدكم هذا ينقضّ عليكم
وكأنى بحزب رَعٍ يَشْمَتُوُن بكم
ويُديلون منكم ويستولون على مالديكم ؟
إنّ فى قصر فرعونَ ، هذا القصر الجميل ، حيّة رقطاء نمتها برارى الشآم
شبعَتْ من تُراب العدوّ وجاءت تمج السُّمام ولها عينان تمجّان نورًا يغُمّ الفؤاد
نورا يتألق فيه الظلام ويلمع فيه السواد !
تتلوّى عليكم عَداءً وحقدا

وتفح عليكم نِواءً وكيدا
وتنث السموم نهارًا وليلا
وتشب عليكم ثبورًا وويلا
إنى لأراها زاحفة نحوكم
يا له منظرًا يملأ النفس هولا !
إذ ترفع قرنا وتسحب فى الأرض ذيلا !

سادى : يا صاح كفى ! فلقد أرعدتَ فرائصنا رعبًا
لأكادُ أحسُّ دبيب الحيّة فى عنقى .
ما تقصد من هذا ؟ أتريد ليُزعجنا طيفها فى المنام ؟
ما أحوجَ جفنى الذى لا يُلمُّ به النوم إلا غرارًا
لدواءٍ سوى هذا ...

رانى : العلة يا صاحبى فى قلبك لا فى جفنك
أيطير فؤادك من وصفها رعبا ؟ كيف لو
عاينتَ إذًا أصناف الأفاعى التى عندى
من كل بلاد العالم ، بين طِوَال دِقاق
وأخرى قصَارٍ غلاظ ، وما بين بيض وسُودٍ
وَرُقْش ورُقْطٍ وصُلْعٍ وذات قرون ؟

سادى : أمسكا ويل أمكما عن هذا
ما لنا وحديثَ الأفاعى أما عندكم من حديثٍ سواه ؟

جابى (لرانى):إن أفعاى تعدل كل الأفاعى التى عندك

بل تعدل كل الأفاعى التى فى العالم كله

رانى : إن هذا لجدٌّ عجيب ، فعهدى بفرعون لم
يك يومًا مّا من هُواة الثعابين

جابى : إن فرعون يعشق أفعاه هذى
حتى لتبيتُ وإياه فوق فراش واحد

سادى : ويلاه ! تبيت وإياه فوق فراش واحد !
ومليكةُ فرعونَ أين تبيت إذن ؟

جابى : أتبيت مليكة فرعون إلا معه ؟

سادى : الثلاثة فوق فراش واحد ؟

جابى : ليس فوق الفراش سوى اثنين .

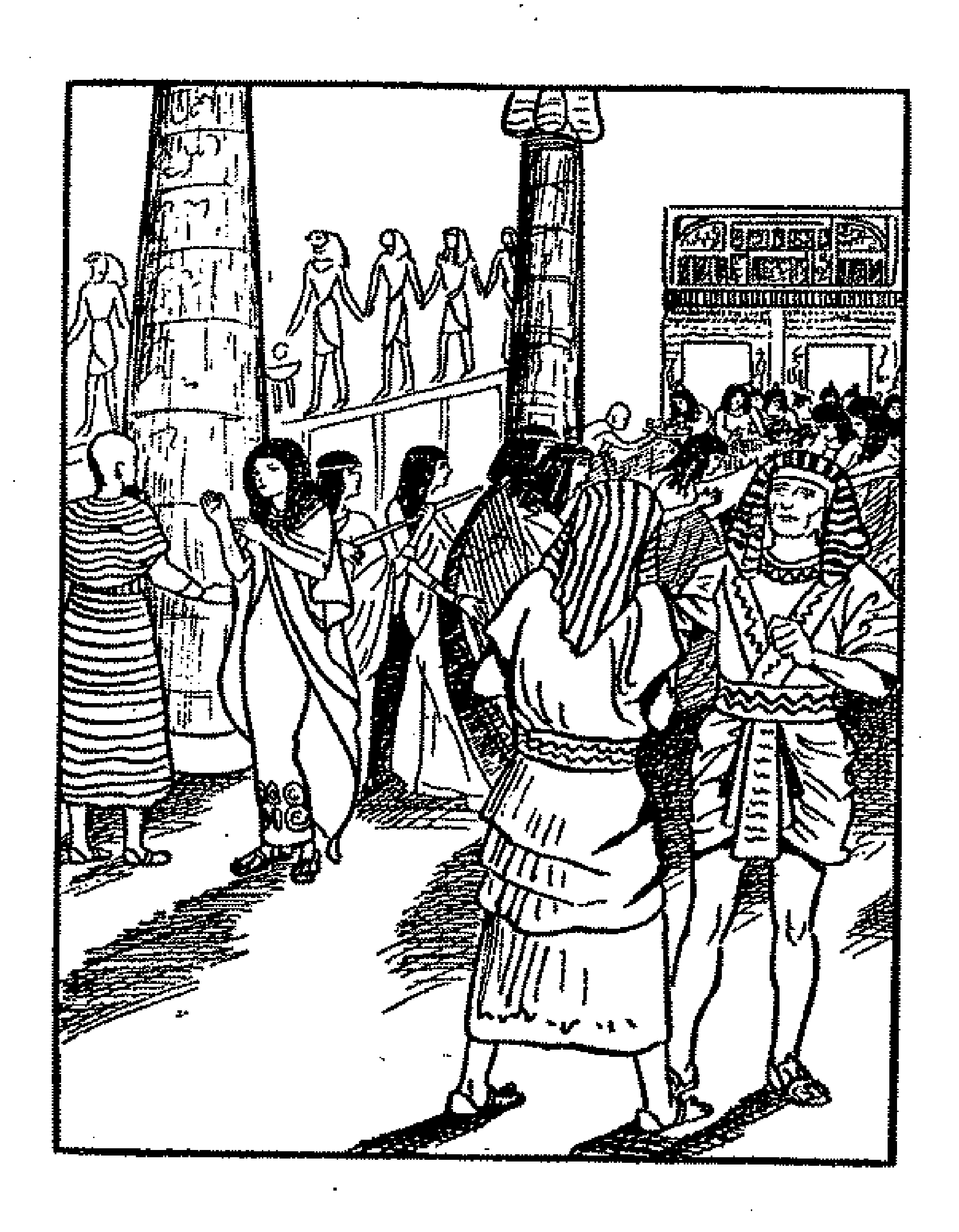
سادى : أتغالطنى فى الحساب ؟ أتحسبنى جاهلا به ؟
(**يعد بأصابعه**) فرعون وأفعاه والملكة
هؤلاء ثلاثة

جابى : فرعون وأفعاه والملكة
هؤلاء اثنان

سادى : (**فى غضب**) إبغ مجنونا غيرى ليصدِّق أن الثلاثة تنقلب
اثنين !

جابى : يا جاهل ، إن الأفعى هى الملكة !

سادى : قل لى هكذا فالآن هما اثنان حقا —
لكنَّ مقالك هذا مقالٌ عظيم



أتسمّى مليكة مصر الجميلة أفعى ؟

جابى : هى شر الأفاعى وأخطرها سما

رانى : والربِّ أمون ، لقد قال جابى الحقيقة .
أجمل الحيات التى عندى أوحاها سما !

سادى : أوَ ما يخشى فرعونُ أذاها أما تلدغه ؟

جابى : لا تلدغ فرعونَ لكن ستلدغنا والربِّ أمون

أحد الكهنة : بل سيحمينا منها فرعون فما عاش لا خوف منها علينا .

جابى : أبقدرة فرعون أن يصنع اليوم شيئا ؟
إن تى أصبحتْ فرعونَ فما فى مصرَ سواها
تُدنى من تشاء إليه وتُبعد عن عطفه من تشاء
يا لِضَيّعة مصر ! غدا أمرها فى أيدى النساء
سقيًا لزمان الفراعنة السابقين
إذ لا تتسلط فيه على فرعون امرأة
دافِعوا عن مجد أمون !
ويلكم ! ما تنتظرون ؟

كبير الكهنة : لم يسىء فرعون إلى ربنا يومًا ، بل ما زال
يرعانا بحمايته ويُفيض علينا حنانه

جابى : لا يغرنّكم هذا اللطف من فرعون
فهو يبغى اجتذاب قلوب الناس إليه
فإذا ما استوثق منهم رمانا بهم ، وأدال لحزب رع
منا ، إنه ورث البغضاء لنا عن أبيه

فقد استكثرا ما لنا من نفوذٍ ومالٍ وجاه ،
كأن لم نكن وطّدنا لآبائهم ملكهم هذا ،
وبنينا لهم مجدَ مصر الذى لم تشهد له من قبل مثيلا .
فليستنطقوا ذكرى الفاتح الغازى تُحتمس
مَنْ باركه غيرنا فى القتال وأيده فى النضال ؟
هل دانَ البلادَ ودان العبادَ بغير الربِّ أمون ؟

كبير الكهنة : لا خوف علينا من أمنوفيس الثالث فهو كريم حليم ،
وهو مشغول عنا بملاهيه وملذاته ،
وكذا لا خوف علينا كثيرا من الملكة
فهى مهما أخافت لا تعدو أن تكون امرأة ،
لن تجمع فى يدها بين السُّلطتين
لكنَّ الخوف على أمرنا من ذاك الأمير الصغير
إذ يخيّل لى أنه سوف يقضى علينا القضاء الأخير
فالشواهد ثَم تدلُّ على أنه طفلٌ لا كالأطفال ،
وبرغم السذاجة فيه يفكر فيما تقصر عنه عقول الرجال .
جسمه المهزول على الأرض لكن خواطره فى السماء .
دائم الإطراق كمن يستشف الغيب ويتْلو صروف القضاء
فهو مذْ ماتت زوجه الميتانيّه
التى كان يعبدها حبًا وغراما
لم يجد للراحة معنى ولا للسرور سبيلا
يتأوّه فى صمته آهاتٍ ،

ويذوب على إثرها حسرات ،
وتسيل حُشاشته زفرات ،
ويغالب فى جفنه عبرات
لولا الصبر سالتْ على خده قطراتْ .
الصبر الصامت يكبت من حزنه الصارخ ،
والحزن الصارخ يطغى على صبره الصامت .
ضاقت نفسه بالناس وبالأرض ذرعا
فابتغى فى حقول السماء لِعينيْه مرعى
يخلو بالنهار إلى نفسه واضعا خدَّه فى يده
ينسى يومه ويحن إلى أمسه الماضى
ويفكر فى غده الآتى ووراء غده .
يرتاد الخلاء كمن يتلمس شيئًا أضاعه
ويقوم على ضفة النيل مذهوبًا لُبُّه ساعة بعد ساعة
ويهيمُ على وجهه لا يعْرِف ماذا يريد
يجرى مُقبلا كالطارد حينًا وحينًا يُدبر مثل الطّريد
ويعُوج على الروض يرنو إلى الزهرات
فيقطّب حينًا وحينًا تفلت من ثغره بسمات .
حتى يبصرَ الوردة البيضاء تروق جمالا ،
وتميس على خطرات النسيم دلالا ،
فيناجيها نجوى العاشق الولهانْ ،
ويُغنى لها أعذب الألحان ،

ويسائلها هل حلّت روح الأميرة فيها
ثم يحنو عليها ويطبع قُبلته المحمومة فى فيها !
ثم يرتد عنها ارتداد الظبى الوارد
إذ يُراعُ على غِرّة بحبالة صائد .
ويعود إليها فيلحظها شزرا
ثم تهفو أضالِعُه فإذا عينه شكْرى
ويجول بها يسرةً ويمينًا كمن يبتغى شيئًا فى الفضاء
ثم يخفضها يائسًا للأرض ويرفعها راجيًا للسماء
فإذا نال الجهد منه وآذاه حَرُّ النهار
عاد أدراجَه للقصر وفى عينيْه احمرار
فيميل على كتُبه يتصفح أوراقها باصطبار ،
ويراجعُها مرة بعد أخرى
لا يمل لها قط طيًا ونشرا —
كتُبًا جَد فى جَلبِها من أقاصى البلاد
فى شتى الديانات والفلسفات فيدرسها باجتهاد
فيوازن بين مقاصدها بهداية عقله
لا يرفض رأى امرىء أو يقبله لوضاعته أو لفضله

سادى : عجبًا من أين لسيدنا علم هذا كله ؟
من أعلمه كل هذى التفاصيل عنه ؟

كبير الكهنة : لو حدثنى عنها أحدٌ ما صدَّقته .
لكنى بعينىَّ هاتين شاهدت معظمها

إذ كنت أراقبه من بعيد
قُرابةَ شهرٍ بحيث أراه ولا يدرى بمكانى .
منذ أن جاءنى ذات يوم أسيفا حزينا
يهمُّ ببَثِّ مواجعه فيغالب أمرًا عظيما
حتى رقّ قلبى له فوضعت على كتفَيْه
يدى لأسرىَ عنه وأسأله عن مصابه .
شدَّ ما كانت دهشتى إذ لم يشكُ لى شيئا
بل ألقى علىّ سؤالات شتى : ما الحياة
وما مغزاها وغايتها ، ما الموت وماذا
وراءَ الموت ؟ وفيم يعيش المرء وفيم يموت ؟
وهل الروح خالدة أم كالجسم تفنى ؟
وهل نلتقى يوما بأحبتنا الراحلين ؟
ولم لا يعودون يوما إلى هذه الدنيا
كنبات الربيع يُذَرُّ وينمو ويذبل حتى يموت
فتذروه الريح فوق الأرض أباديد
حتى يُهلَّ الربيع الجديد فترجع فيه الحياة ؟
ولقد كنت أوثر أن أتخلص منه
بأجوبة لا تُسمِنْ أو تغنى من جوع
لِأصرفه عنى بجوابٍ أىِّ جواب ،
لولا أنه فى إصغائه لكلامى كان
يحاول أن يتفهم ماذا وراء كلامى .

ورأيت شعاعا غريبا بعينيه يُفضى إلى
أعماق فؤادى فيتركه سفرا مفتوحا
لعينيه يقرأ فيه هواجس نفسى .
فاضطُرِرْت إلى أن أعِدل عن عزمى هذا
واستغثت بكل ذكائى ومخزون علمى
لِأستطيع إرضاءه بجوابٍ شافٍ سديد

سادى : إن هذا لشىء عجاب ، ولكننى لا أرى فيه
بأسا فماذا تخافون من مثل هذا ؟

كبير الكهنة : ربما لا ترى فيه بأسا ، ولكن على يده ستكون نهايتنا ..

سادى : كيف ذاك ؟

كبير الكهنة : حكى لى أبى يومًا أن فرعونا كاهنا
سيجىء بدين جديد ويمحو دين أمون .
وروى لى من وصفه وشمائله مالا
ريبَ عندىَ فى أن هذا الذى تحذرون

جابى : لا أرى فيما قال سيدنا بِدعا
إن هذا الصِّلّ لَمِن تلك الأفعى !

رانى : عجبا لك يا صاحبى ما أصدق تشبيهك !
إنه يشبه الصل يا قومُ حقا

سادى : كيف ذاك ؟

رانى : أليس صغير الجسم كبير الهامة ؟
زورونىَ إن شئتم لتروا من هذا الصل

ضروبا لدىّ

(**بصوت خافض**) سأجيء بأمنوفيس هنا لتروه

(**يخرج مسرعا**)

سادى : روعتم فؤادى بحياتكم هذى والضلال

أوَ ما عند هذا الثقيل سواها قِرًى لضيوفه ؟

الأمير ... صغير الجسم كبير الهامة .. ويلاه !

شوّهتم بذهنى صورته ومحيّاه !

ما أحسبنى بعد اليوم أجسر أن ألقاه !

أحد الكهنة : لكن لن يعيش الأمير طويلا فلِم نخشاه ؟

ما أحسبه عائشًا حتى يلىَ العرش

بعد أبيه ولا سيما والحزن يهدُّ قواه ،

وهو بعد ضعيف الجسم عليلٌ منذ صباه

وبموت أميرته لن يُعْقب للعرش من وارِث .

كبير الكهنة : فاتكم أن تى قد ألمّت بهذا ،

فرأت أن تزوّجه من عروس جديدة .

الكاهن : ما أحسبه يسلو زوجه الميتانية .

كبير الكهنة : لن يُعْجز تى أن تُقنعَه بوجوب الزواج .

جابى : ما أدهاكِ أيتها الحية الرقطاء !

(**يعود رانى مسرعًا وهو ينهج حاملا صلاتحت ردائه**)

رانى : جابى ، ما أصدقَ تشبيهك !

(**يلقى الصل وسط الجميع**) هاكم أمنوفيس ! انظروا

أمنوفيس !

سادى : ويلاه ! صغير الجسم كبير الهامة !
ويلاه ! الأمير ! الأمير ! (**يخرج هاربا**)

جابى : اقتلوا أمنوفيس ! (**يحاول أن يضرب الصل بعصاه**)

رانى : (**يسرع باختطاف الصل**) : كلا لا تقتله فهو عزيزٌ عليَّ .

كبير الكهنة : (**مبتسما**) جابى ماذنبُ الصل البرىء وماذا يفيدك قتله ؟

رانى : بوركتَ ! أجل ماذنب الصِّل العزيز الذى لا يلدغ أو يؤذى أحدا ؟

كبير الكهنة : ليت فى وسعنا أن ننزع من أمنوفيس الصغير ما كنتَ نزعتَ من الصل هذا يارانى

(يسدل الستار)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

(فى جناح من القصر الملكى بطيبة . فى بهو كبير يطل من جهة اليمين على حديقة القصر ، وعلى جهة اليسار بابان أحدهما يوصل إلى بهو الضيوف والآخر إلى الجناح الخاص بفرعون ويرى على وجه المنظر باب يوصل إلى الجناح الخاص بالنساء والوصائف .)

(يظهر الأمير جالسا على حافة البهو من جهة اليمين بحيث يشرف على الحديقة ، تبدو عليه أمارات الحزن والتفكر ـــ تدخل الملكة تى وتجلس إلى جانبه .)

تى : رفقا يا بُنَىَّ بنفسك ، حتَّام هذا الحزن العميق ؟
رفقًا بشبابك هذا الغضِّ وجسمك هذا الرقيق .
لا تجعلْ للأفكار عليك سبيلا .
وتناس الماضى واصبر على ما نالك صبرا جميلا .
هذه سُنَة الدنيا لا نولد فيها لنبقى
ولا نحيا فيها إلا لنموت .
إن تمُت (تادوْ) فلقد ماتت قبلها (حتشبسوت)
ولعل الرب أتون دعاها لخير فلبَّتْ نداءه
ولعل الربَّ أتون دعاها ليلقاها فأحبَّتْ لقاءه .

إنها يا نبىّ استراحت من أعباء الحياة ،
واستقرت بدار الخلدِ يمتعها بالنعيم الإله ،
إن تحزن لها فلَمَا عند الربّ خيرٌ وأبقى
أو تحزن لنفسك فارفق بنفسك رفقا
لا تجمع عليها مصاب النفس وموتَ الحبيب
فالعاقل مَن يتلقّى خطوب الحياة بصدرٍ رحيب

الأمير : أماه ؟ لقد حاولت العزاء ولكن كيف العزاء ؟
إنها كانت سلوتى فى هذى الحياة حياةِ الشقاء ،
فعلام بقائىَ من بعدها ؟ لا رغبة لى فى البقاء .
تذكرين الإله وما شأنى والإله ؟
أو لم يُلف مخلوقة غير تادو لتلقاه ؟
لا أحسبُها آثرت لقياه على لقياى
كلاّ ! إن هذا محالٌ فقد كانت لا تحب سواى !
وتقولين علَّ الرب أتون أراد بها خيرا
أىُّ خيرٍ لها فى أن لا ترانى يا أماه ؟
قولى بالحرىِّ لعل أتون أراد بها شرا
أىُّ شر أعظم من أن لا تلقانىَ يا أمّاه ؟
إنها كانت لا تصبر عنى لحظة ،
أفتصبر عنىَ دهرا يا أمّاه ودهرا ؟
لمّا عادت من زيارة والدها بعد أن
مكثتْ عنده شهرا واحدا جاءتْ
تتحرق شوقا إلىَّ كأن الساعة كانت شهرا .

أترين الرب أتون أبرّ بها من والدها
أو بإكرامها ورعايتها أحرى ؟
وتقولين : دار الخلد . وأين رأت
دار الخلد هذى فتعشقها مستقرًا ؟
أتظنين دار الخلد أحبَّ إلى قلبها
من دار أبيها التي درجت فيها طفلاً
بين قلب يسيل حنانا عليها ووجه
يبش لها وتفيض أسرّته بشرًا ؟
ما أقسى قلب الرب أتون !

تى : بنىّ تعقل وزنْ من كلامك لا تنطق
في جنب إلهك كفرا

الأمير : أماه ! أأملك إلا هذا لمن أشقانيَ هذا الشقاء
وطوى كل آمالى فى الحياة بغير رثاء ؟
إنه استلّها عنوة من بين ذراعىّ
أعظمَ ما كنت حبًّا لها وحنانا عليها
وأحوج ما كانت لدفاعىَ عنها وعونى .
لكن كيف أدفع هذا القوىَّ الخفىَّ الذى
لا ترى إلا ضرباتُ يديه على هامات
بنى الأرض الضعفاء ؟
مَن لى بقُوَى كقواه فأرجعَ تادو إلىّ
وأنزعها من غاصبها المستعصم فى علياء السماء !

تى : مهلا يا بنىّ

الأمير : دعينـــىَ يـــا أمـــاه أنـــلْ
بلسانـىَ مـا لم تنلـه يـداى
ولو طالته يداى لعفّ لسانى عنه .
فعلى الرغم منىَ أن لا أملك من قوة أو حول
لأدفع عن تادو يد غاصبها ذى الصَول
سِوى قولى هذا ، وسلاح الضعيف القول !
كنت أعبدُ هذا الرب بكل فؤادى يـا
أمـاه وأطوى لـه بين جنبىّ حبًّا عظيمـا
وأصلّى له فى المعبد كل صباح وكل مساء ،
وأبالغ فى التسبيح له والثناء .
ولقد كنت أحمَده كلما لاحت لىَ تادو
أو ابتسمت لى ثناياها أو تورد لى
خداهـــا أو طالعتنــى عيناهـــا
أو جـــالت على رأسى يمناهــــا
أو رفتْ على ثغـــرى شفتاهـــا
أو مرت على خاطرى ذكراها
أو مرت على خاطرى ذكراها ؟ لا لا لا !
لم يَعُد يستحق الحمد اليوم على هـذا .
إنما كان ذلك إذ كانت ذكراهـــــــا
أمسِ على كبدى بردا وسلاما .
(إخناتون)

أما ذكراها اليوم فقد أضحت نارا
تتضرم فى قلبى وعذابا غراما .
كنت أحسب أن الرب أتون رحيمٌ سميعُ الدعاء
كما قُلتِ لى من قبل ويعتقد الأغبياء .
ولقد مرضت تادو وذوى عودها اليانع
وخبا نور عينَيْها الساطع
واصفر محياها سقما وشحوبا
وشكا ينُبوع تبسُّمها الفياض نضوبا
ومضت فى فراش الموت تَساقَط نفسا فنفسا
مشهد يملأ النفس همًا وحزنا ويأسا
والرب الذى يستطيع إغاثتها وحده
ويرى ما كانت تعانيه من آلام وشدة
لم يهفُ له قلبٌ بالرثاء
ولم تُزعج سمعَه صرخات الدعاء !
وحياة أبى — لا أقسم بالرّب يا أمّاه —
لو أن عدوًا قضيت على وُلده وقتلت أباه
وسطوتُ على ماله واغتصبتُ دياره
وانتهكت مقابر آبائه وأبحت ذماره
قد رأى ما كانت تعانيه تادو الجميلة
لرثا قلبه الموتور لها وتناسى عدوانه وذُحُوله
وتمنّى الشفاء لها بالذى أبقيتُ له من ثراء

ولم ينتظر منّى أيما شكر أو جزاء .
أيـن كانت رحمة ربك يـا أمّـا
الذى لم أقتل له ولدًا أو أبا
أو أغصِبْ له مالاً أو أقطعْ له سببا ؟
بل كنت أدين له بالحب الوفىّ .
وأصلى له صلوات العبد التقىّ .
أين كانت رحمة هذا الذى تدّعين إلها
حين كانت تادو البريئة تلفظ حوباءها فى صباها
ولم تستطعْ أن تودع للمرة الأخرى أمها أو أباها ؟

تى : ولداه ! لقد غابت عنك حكمةُ ربك .
حين استسلمت كثيرًا لأحزان قلبك .
إنه لم يشأْ أن تطولَ بها بُرَحاءُ العذاب .
فاختار لها الراحة الكبرى فى ظل رفيع الجناب

الأمير : لاتقولى : اختار لها الراحة الكبرى فى ظل رفيع الجناب
بل قُولى اختار لها الراحة الكبرى فى بطن التراب !

تى : ماذا ؟ أتُفضِّل أن تبقى فى ذاك العذاب ؟
أو ما كان لطفًا منه بها أن يُنقِذها من ذاك المُصاب ؟

الأمير : هل أعجزه أن يُنقِذها إلا بالحمام ؟
أو ما كان فى وسعه أن يشفيها من ذاك الداء العُقام ؟
ثم فيم بَلاها بهذا الداء العَيَاء
فيم لم يتركها كما كانت فى صحتها والدواء ؟
ماذا اقترفت من ذنب فَتلقى هذا العقاب الوبيل ؟

أم ماذا جنيتُ أنا فيطول لها حزنى والعويل ؟
إن كان يلذُّ له أن يَشْهد آلام خلقه
فَعَلامَ يكلفنا باعتقاد الرّحمة فى حقّه ؟
ما أحسب أن الرب أمون
الذى بغّضتِ إلى قلبى دينَه
وأشدت بقسوته وبقسوة من يعبدونه
أقسى قلبًا من هذا الربّ الجديد الذى تعبدينه .
ويلتاه ! لعل أمونًا صبَّ علينا سوط عذابه
انتقامًا له منّا إذ نبذنا عبادته وكفرنا به .
لكن أين كان الربُّ أتون ؟
لِمَ لم يحمنا من سخط أمون ؟
إن كان بذا جاهلا فعلام ندينُ لرب جهُول ؟
أو كان به عالمًا إلا أنه لم يكن
قادرًا أن يحمينا من سطوة أعدائه
فعلام ندين إذن لإله ضعيف ؟
أو كان قديرًا ولكنه لم يفعل فذاك
أمرٌّ وأدهى ، أنعبد ربًا ليسَ يغار علينا ؟
فلنعُد للربّ أمون
فهو أقوى منه وأقدر
أو أعلم منه وأغيَر

تى : ماذا يا بنىّ تقول ؟ أتدعو بعدُ أمونا ؟

أرضيت لنفسك ذاك الربّ الزّائف ربّما
الذى اغتصب الحق من رَعْ حورختى نهبا ؟

الأمير : إنـــه يـــا أمـــاه ربٌّ قـــادر
لا أحب الآلهة العاجزيـــــــــن

تى : من أنباك أن أمون إله قادر ؟
إنه يا بنىّ إله غادر !
لم يَقوَ بغير الحيلة والمكر والتدجيـل
وخدع عقول الناس بشتى الأباطيل
إن كهانه استحوذوا فى مصر على كل شىء
تتضاعف أملاكهم عامًا بعد عـام .
ربما يأتى يومٌ يملكون به كلّ مصر
ولا يستثنون حتى كرسىّ فرعون .

الأمير : لكن أىُّ الربين أغارَ على تادو يا أماه ؟
هل كان أمونًا فأرجُمَه بصواعق لعنى
حتى يتزايل بنيان معبده حَجَرا حَجَرا
وتحيق بكهّانه النكبات فلا تسمعى عنهم خبرا ؟

تى : (على حدة) أأقول نعم لأشُبَّ العداوة فى قلبه لأمون ؟
لكن قد يسألنى لِمَ لَمْ يدفعه أتون .

الأمير : إنه هو يا أماه أليس كذلك ؟
إنه هو ذاك الإله القاسى الفظ الغليظ
الذى لا يروى له من قانى الدماء غليل .

حاشا لأتون الرب الرحيم
أن يأخذ منيَ تادو ويجنيَ هذا الإثم العظيم
لكن لِمَ لَمْ يدفع عنا سطوات أمون ؟
ربما كان حاول هذا فما استطاعه
ألكل من الربَّين مجال لا يعدوه ؟
فإله الخير أتون ورب الشر أمون :
هذا للموت وذا للحياة وذا للظلام
وذا للنور وذا للشقاء وذا للسعادة ؟
فلئن يك هذا الرأى صحيحًا
كما مر بى فى بعض كتابات ميدى
لجدير بنا أن نعبد هذين الربين معًا
ابتغاءًا لرحمة هذا ودفعا لنقمة ذاك

تى : كلا يا بنى فليس لنا إلا رب واحد هو رب الخير ورب الشر ،
هو خالقنا هو رازقنا هو محيينا والمميت .

الأمير : كيف يجتمع الخير والشر فى رب واحد ؟
أيكون الرب رءوفًا رحيما وفظًا غليظًا ؟

تى : إنه يا بنى رءوف رحيم وليس بفظ غليظ
إن ما نتوهمه قسوة منه ليس سوى
رحمة كَلَّ عن فهمها عقلنا المحدود الضعيف :

الأمير : أتعدينها رحمة أن يأخذ تادو منى

ويتركني مقطوع نياط القلب حزينًا ؟

تي : إن يأخذ تادو منك فسوف يعطيك خيرًا منها

الأمير : خيرًا منها ؟ هل يوجد خير منها يا أماه

هل يقدر رب أو يستطيع إله

أن يخلق أجمل من تادو قط يا أماه ؟

حتى لو كان بإمكانه أن يخلق خيرًا منها

لن يكون بإمكانه أن يجعلها عوضًا لى عنها .

تي : يا رب اغفر لا بنى سورات الشباب

فإن الشباب جهول كفور

وأنت إلهى عفو غفور

سترى يا بنىّ إذا ما تقدمت السن بك

أن غير الذى قلته هذا كان أجمل بك

وستعجب يومًا من نفسك :

كيف كنت تظن أساك على تادو

أبديًا وأن سُلوّك عنها محال ،

وستخجل يومًا مما كنت تسب إلهك

حين يوليك من فضله خيرًا لك مما استرده .

فاخلع الحزن عنك بُنىَّ وهيىء

نفسك لاستقبال عروس جديدة .

ستكون كما كانت لك تادو وأحلى ،

وستصفيها حبًا مثل حبك تادو وأقوى

الأمير : أماه أحسُّ كلامكِ هذا يمزق أحشائى

إذ يقطع من أملى فى عودتها للحياة

كانت نفسى ما تكاد تصدق أن حبيبة قلبى

قضت نحبها أى ولت لغير رجوع

إلى حيث لا أدرى دون أن تستأذننى

أو تدعونى لأرافقها فى هذا السفار الطويل .

بل كانت تحدثنى نفسى أنها ستعود .

أنها ستتوق إلى لقياى ولو بعد حين

أننى سأراها وألمسها وأكلمها فتجيب

وأحدثها عما عانيت من الآلام

لفرقتها ولقيت من الأحزان

وتحدثنى عما سمعتْ فى غيبتها

من حديث طريف وعما رأت من مرأى عجيب

كما حدَّثتنى لما عادت من أهلها

بعد شهر قضته هناك بعيدًا عنى :

كيف كانت تذكرنى ليلا ونهارًا

وتحدث أترابها عن مصر وعنى

وعن فرعون وأمى فتتركهن غيارى .

فطفقت أقبلها قبلات الشهر الذى

غابته بأيامه ولياليه ، فى

ثغرها المعسول اللذيذ وفى وجنتيها الموردتين

وفى شعرها الذهبى الجميل ، وكانت
تعُدُّ على وكنت أغالطها فى الحساب !
أماه ! حنانيك يا أماه دعينى
أستمتع برجائى هذا الضعيف
ولا تُسْلمينى إلى أنياب اليأس العتيد .

تى : أواه عليك بُنى الحبيب ! لكَم يحلو
لى تركُك فى أحلامك ذى لولا أنها
ستجر عليك عذابًا طويلا جدّ طويل .
فحرٍ بك أن لاتغالط نفسك فى أمر
يستوى الناس فيه وليس إلى رده من سبيل
فايأسْ منها ترجُ أخرى سواها
ولا ترجها فتظلّ الدهر يئوسًا قنوطًا
فالرجاء الحديد وليدُ اليأس المريع
واليأس المبيد وليد الرجاء الطليح

الأمير : ما أعجب قولك يا أماه ! أأيأس من تادو وأؤمّل
فى الدنيا بعدها شيئًا ؟
لا بل كيف أيأسُ من تادو وأعيش ؟
تادو ! لن أنساك يا تادو !
لن أسلُوَ حبك يا تادو !
لن أعشق غيرك يا تادو !
لن أفرح بعدك يا تادو — لن أعيش !

تى : لا بل سيطول بقاؤك يا أمنوفيس
وستختار جوهرة أخرى لا تنقص عن تادو .

الأمير : لا توجد فى الأرض جوهرة مثل تادو
وأحسبها غير موجودة فى السماء .
طالما كانت تستيقظ فى الأسحار فتكتم أنفاسها
وتقبّل ما بين عينىَّ فى رفق حتى لا توقظنى .
وأسارقُها الطرفَ حينًا فحينا فألمحُ فى
شفتيْها ارتعاش الصبى قد اختلس الحلوى
من مخدع جدته الشمطاء وفى عينيها
اغتباط الطفل تملأ من ثدى أمه !
ثم يغزو التثاؤب فاها الجميل ،
ويلوذ النعاسُ بأهدابها فتميل إلى
جنبى وتعود إلى نومها فى طمأنينة وغراره .

تى : ويح لك يا ولداه !

الأمير : ما أنسَ من الأشياء فلن أنسى
ما كنا نخرج فى أنفاس الصباح الجديد
إلى الروض المطلول فننسابُ بين الغصون
نبلّل أوجهنا بالطَّل النضيد
ونسير على العشب المنضور
ونعدو هنا وهنالك على المرج المسحور
ونجمع شتى الأزاهير ننظِمُها مثل الإكليل

ونجرى وراء الفَراش الجميل
نطارده من غصن لغصن فأمسِكه فتشير
علىَّ بإطلاقه من جديد فأطلقه فيطير
فترنو إليه وفى فمها بسمة بيضاء
كما يبسم الأريحى الكريم ارتاح لـفك أسير !

تى : ما أرق فؤادك يا ولداه !

الأمير : وُنجِسُّ بمس اللغوب فنقصد نحو الجدول
تقعد فوق صفاة على شطه ملساء ،
فَنُدلى أرجلنا فى الماء
ونرسل أبصارنا فى الفضاء
وعلى خصرها يدىَ اليمنى وعلى جيدى
يدها اليسرى . ويطوِّقنا إكليل الزهر السعيد !
ويغنِّى لى فمها المعسول الصغير
على ألحان خريرِ الماء النمير
أغانىَ (ميتانيا) بين زقزقة العصفور
وتغريد الشحرور ووسوسة النسيم الجواس
خلال غصون الأيك النضير !

تى : واهًا لك يا ولداه !

الأمير : وتقص علىَّ أحاديثَ جدتها عن ماضى البلاد

وحكامها من آبوتها السالفين
وأبطالها الخالدين وأيامها مع أعدائها
من بيض وسود .
وتحدثني أنها ستجيء قريبًا لنا
بغلام جميل سيغدو مليكًا عظيما
يوحـــد عـــرشَى مِصَر وميتانيـــا
فـــيضيءُ على رأسه التاجـــان
وُيخلص فى حبـــه الشعبـــان

(يُسمع صوت فرعون قادمًا)

هذا فرعون أبى قد جاء يريدك يا أماه .
سأجوس خلال الحديقة ثم أعود إليك .

تى : لِمَ لا تبقى معنا ؟ إنه يشتهى أن يراك

الأمير : لكنى لا أشتهى أن أراه !
إنه لا يعطف يا أماه على أحزان فؤادى ،
بل يبسِمُ فى وجهى كالساخر منى .
سأعود إليك قريبًا .

(يخرج الأمير من باب الحديقة — يدخل أمنوفيس الثالث)

أمنوفيس : مسكين هذا الغلام يكاد الحزن يشق فؤاده !
ويحه ! ما أغناه عن هذا كلّه .
إن فى ألوان النساء لما يُنسيه جمال فتاته :

إن للشقراء مذاقًا وللسمراء مذاقًا
ولذات العيون الزُّرق وذات العيون السود
وللهيفاء الطويلة والرُّعبوب القصيرة ،
ولذات العُبُوس الحلو وذات الوجه الضحوك
وللرعناء الشَّموس وللمطواع الذلول ،
ولذات الصوت الأبح العذب
وذات الصوت المُرن الحنون :
هذى للحديث وذى للعناق وهاتيك
للضم واللثم والأخرى ..

تى : (فى غضب) صه صه ! يا زيرَ النساء !
يا من لا يعرفُ فى الحب معنى الوفاء .

أمنوفيس : الوفاء ؟ لمن ؟ للنساء ؟ وهل أوفى منى
للنساء ؟ ألستُ أبر الناس جميعًا بهن ؟
من يهواهن هواى ويصبُو إليهن مثلى ؟

تى : أهو هذا الوفاء الذى تدّعيه ؟ أتدعو الشىء بضده ؟
لا كان الوفاء إذن إن يكن ما تعنى الوفاء .

أمنوفيس : أيسرك أن يهلك ابنك من أجل هذا الوفاء ؟
أوَ ليس جنونًا به أن يبكىَ ليل نهار
على زوجة مثلها فى النساء كثير ؟

تى : إنه يعرف الحب خيرًا منك ويفهم معنى الوفاء

أمنوفيس : أتسمين هذا وفاء ؟ أكُرْهُ النساءِ وفاء ؟

تى : بل إخلاصُهُ الحبَّ لامرأة واحدة

أمنوفيس : إن هذا وفاءُ المرأة ليس وفاء الرجل

تى : أوَ فاء المرأة غير وفاء الرجل ؟

أمنوفيس : ذاك أن المرأة غير الرجل

تى : يالكم من أنانيِّين تُبيحون ما تحظرون
علينا لأنفسكم ، آه لو بيدى الأمر !

أمنوفيس : ماذا كنتِ فاعلةً لو كان الأمر إليك ؟

تى : لمنعت الزواجَ بأكثرَ من واحدة ،

أمنوفيس : (**باسما**) أوَلا تجعلين المرأة مثل الرجل ؟

تى : ماذا تعنى ؟

أمنوفيس : أعنى أن تبيحى لها تتزوج أكثر من واحد

تى : (**غاضبة**) يا صاح كفى هذيانا ! معاذ الرب يكون
فراش الحرة لاثنين .
لمن الأولاد إذن ؟

أمنوفيس : لكن للحر اتخاذ فراشين من دون أن
يجهل الأولاد أباهم
هذا فرق ما بيننا أقررْت به يا امرأة !
هذا ابنك أقبلَ فلأنصرف من هنا فهو لا
يرتاح إليَّ ولا يفضى لى بهمه .

تى : لا تقسُ عليه وأصغ إلى شكواه وبثه
حتى يطمئن إليك فتمليه حينئذ ما تشاء .

إن لى فيه أملا ليس من كاذبات الظنون :
أن سيقضى يومًا على كهان أمون .

أمنوفيس : يا حبيبتى الحسناء لأعجب مما تقولين :
أترجيّن من مثل هذا الغلام الضعيف المهين
أن يقضى يومًا على كهان أمون
الذين تخافين منهم على فرعون ؟
أوّاه ! أحِسُّ السآمة عالقة بدمى
وأحسُّ دمى آسنًا فى عروق .
ويلاه ! أشِختُ ؟ أمات شبابى ولما أقضِ
حقوق شبابى وفى نفسى حاجاتٌ بعد !
كلا يا روحى إن شبابى لما يمتْ
إنه نائم لا توقظه إلا شفتاك !

(يقبلها)

هل هُيِّئَ مقعدنا تحت ظل الأيك كأمس
وهل صفت أكواب اللجين ؟ هلمى
مليكةَ قلبى هلمى لنحسّ الرحيق
الذى جاءنا من بابل أمس ، كأنى به
عند فضّ الختم يجمجِمُ راقودُه
وتولول رغوته وتصيح فقاقيعُه
فى الكأس : عتيق ! عتيق ! عتيق !
ارتدِى يا حياتِىَ حُلّتك الحمراء التى

تتفززُ مثلَ الدم المسفوح ولا تلويثَ :
وتضرم كاللهبِ المشبوب ولا مِن حريق .
ما أجملَ هذا الطلعَ النضيد
إذا اتّشح الأرجُوان الغريض !

تى : غيرُ هذا جدير بمثلك يا أمنوفيس .
ما أسعدَ قلبَك هذا الطروب
الذى لا يحملُ همًا ولا يشكو غما .

أمنوفيس : أتريديننى أن أغدُوَ مثل غلامك
هذا الذى يأكل الساعات شكاة وحُزنا ؟
حسبى أن أراكِ معى ، هل أحمل همًا
وأنت معى ؟ يا روح حياتى هلمِّى هلُمّى !

تى : اذهب قبلى سأجىء وشيكًا إليك
(يخرج فرعون ويدخل الأمير من جهة الحديقة)
هل راقكَ طِيبُ هواء الحديقة يا أمنوفيس ؟

الأمير : إن طيب هواء الحديقة يحرق قلبىَ يا أماه !
كلُّ شىء يسألنى فيها عن تادو
فيؤسفنى أننى لا أحِيرُ جوابًا
وعلى كل شىء أرى مسحة من حزن عميق .
لكنْ عنّتْ لِى خاطرة ثمّ ألمَحُ فيها
شيئًا من أمل أو عزاء ،
إذ تبينتُ أنّ من الأشياء لشيئًا لا

يَدَ للربِّ فيه فلا يستطيعُ لـه تغييـرًا
هـذى ذكـرى تـادو المحفـورةُ فى قلبـى
هل يقدر يومًا على محوها ؟ كلا ، كلا !
ستظلّ على رغم كل القُوَى فى السماوات
والأرض ما دام قلبىَ يخفق بين ضلوعى ،
والحُبُّ أبو الذكرى أقوى منها
وأشدُّ التحامًا بقلبى فعَن محوه هو أعجزْ ،
وهى مصدر هذا الحب فلا بدّ أن تبقى مثلَه .
إنها لم تَمتْ ؛ تادو لم تمت ، تادو باقية !
لا يقدر رب على محوها من هذا الوجود .
علّها نامتْ علها استغرقت فى سباتٍ عميق ،
سأناديها سأهيب بها لتفيق .
أين جثمانها الآن أين هـى الآن يـا أمساه ؟
دعينىَ أذهبْ إليها لأشكوَ حـزنى عـليها
وأطرحَ أثقال دمعى لديها ، فإما
تقوم إلَىَّ وإمـا أهـلك بين يـديها .
إن قلبى يحدّثنى أنها ستجيبُ دعائى
سترحم دمعى ستحيا مِنْ أجلى من جديد .

تى : (على حدة) ويلى ! ما يفتأ يطمع فى أن تعود ،
ما أرى إلا أنّ حيلتنا سوف تنجع فيه :
إنّ ابنة آى لتُشبه تادو كثيرًا
(إخناتون)

لولا أنها سمراء ونونان فى خدّيها
وفى جَفنيها نُعاس وفى شعْرها احليلاك
لقلت هى ابنةُ عاَهِل ميتانيا .
(لابنها) هى فى التحنيط الآن وسوف تراها إذا
تمّ تحنيطها فاصبرْ يا بنّى قليلا
سيجىء عميد أتون الآن فافض إليه
بأمرك هذا لعلك ملق رأيًا لديه يفيدك .
إنى قد بعثتُ إليه لينظرَ فى شأنك .

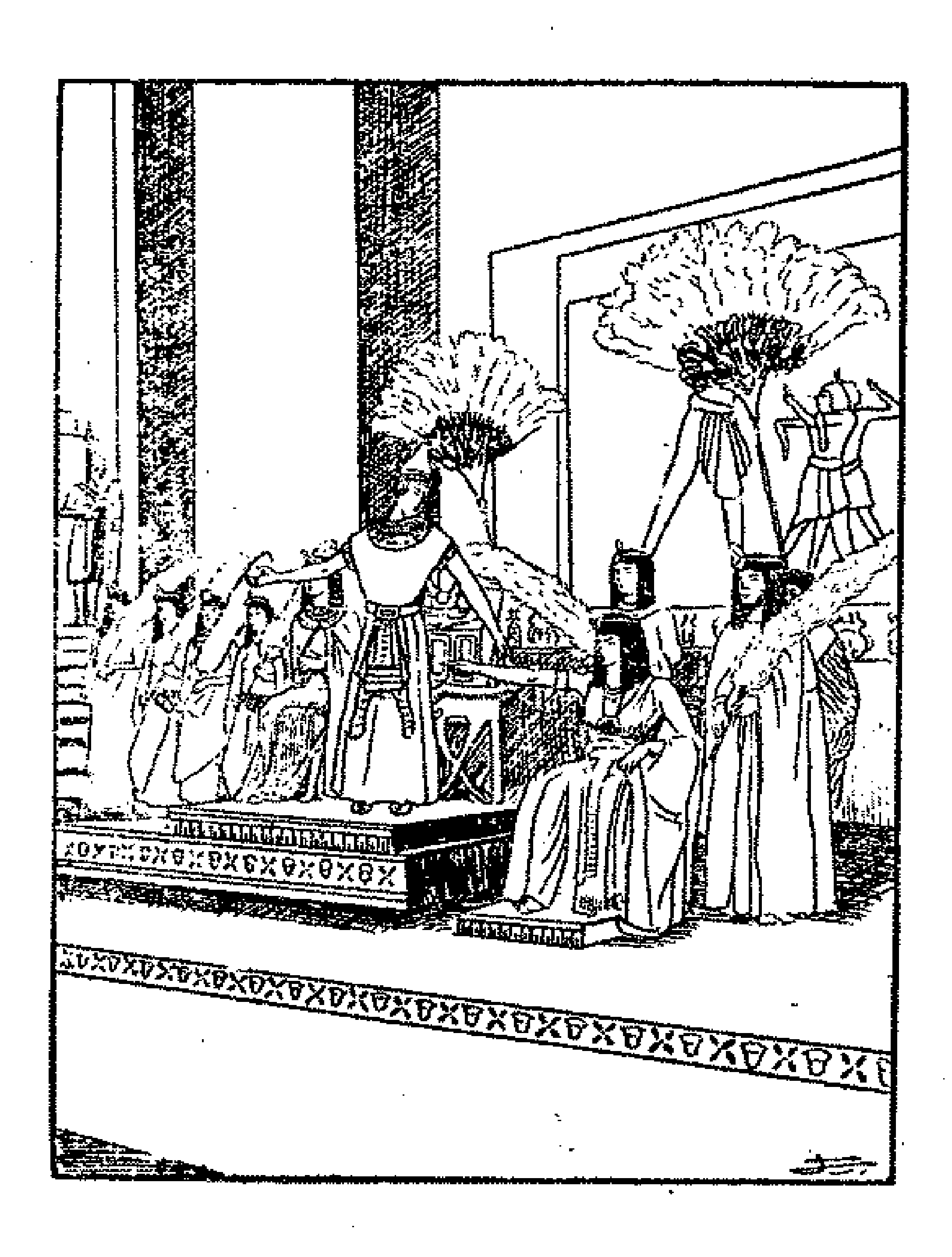
الأمير : ماذا عند هذا العميد ؟ أفى وسعه أن يفيد ؟
فى وسعه أن يعين على تحقيق مرادى
أفى وسعه أن يشفع لى عند ربه ؟
ألديه من العلم ما ليس عند عميد أمون
الذى زرته من قبلُ فما ألفيتُ لديه غناءَ ؟

تى : دعْ عنك عميدَ أمون فما هو إلاقدم جَهول
لا يعرف إلا جمع الحُطام ، ولو كان فى
وسعه أن يعينك ما سره أن يُعينك .
إنه لحقود علينا فإياك إياك منه .

(تدخل الوصيفة)

الوصيفة : مولاتى بالباب مولاى الكاهن

تى : ها قد جاء كاهننا المحبوب
دعيه إذن ينتظرْ فى بهو الضيوف



واذهب فاستقبله يا أمنوفيس .

الأمير : هل كنتِ ذكرت له شيئًا من أمرى يا أماه ؟

تى : أجلْ

الأمير : شكرًا لك يا أماه وماذا قال ؟ أفى وسعه أن يُحيىَ تادو ؟

تى : نعم ستراها اليوم بإذن أتون

الأمير : اليوم ؟ أأبصر تادو اليوم ؟ كما كانت ؟

تى : بل أجمل مما كانت

الأمير : فيم لم تخبرينىَ من قبلُ ؟

تى : كى تسمع البشرى من فمه

الأمير : كيف يا أماه ؟ تجدّين أم تمزحين ؟
أيعود الميتُ حيًا ؟ أهذا يكون ؟

تى : لكن تادو لم تمت ، لا يموت المحبون .
أو ما زلتَ يا أمنوفيس تكذّبنى ؟

الأمير : كلا بل أصدّقك اليوم ، إنك ما تكذبين .
هذا ما كان يحدّثنى قلبى به .
أين ولّت مربيتى ؟ ما رأيتُ لها وجها
منذ أمس ، سأمضى لتبشيرها . ستطير سرورا .

تى : دَعْها إنها غابت لِتعدّ ملابس تادو .

الأمير : لتُعِدّ ملابس تادو ؟ أكانت عالمةً هى ؟

تى : لا شك .

الأمير : ويلى ! أكلُّ الناس دروْا بمجيئك

يا تادو ؟ إلا أمنوفيسك ؟

تى : اذهب رحّب بالكاهنِ ريثَ أجيئكما

الأمير : أهلا بعميد أتون وسهلا !

(يخرج من باب على اليسار يؤدى إلى بهو الضيوف)

تى : **(تقرع الباب الموصل إلى جناح الحريم حيث تصلح فيه العروس الجديدة)**

يا تاى ! يا تاى !

(يجيب صوت من الداخل) مولاتيَ لبيّك

(تظهر المربية تاى)

تى : أصلحت الفتاة ؟

المربية : أجلْ طبقًا لتعاليمك :

مِهْنتُها بالمسحوق السّحرىّ

تى : فمـاذا صارت ؟

لؤلؤة ناصعة !

المربية : وصبغتُ الشَعر ..

تى : فماذا صار ؟

المربية : خيوطًا من ذهب لامعة !

ثم جَدَلْته وضَممت حواشيهُ بشريط الدِّمَقْس

تى : فكيف بدا ؟

المربية : جُمّةٌ تادويّة !

وخلعت عليها ملابس تادو

تى : فكانت ...

المربية : تادو تمامًا .

لولا خَوَرٌ فى عينَيها جِزْتُ فى شأنه !

تى : هــذا لأيضير فلــن يتبينّــه أمنوفــيس
ولا سيمــــا فى دهشة لُقياهــــــا .

المربية : وإذا ما استفاق ؟

تى : يكون هواها حينئذ قد خالط قلبه .

المربية : وجلال أتون لقد جال هذا فى نفسى ..
لكن هذه لا تعرف ..

تى : تعنين عذراء ؟ هذا سهل حلُّه :
ستبيتين عندها برهة حتى يطمئن إليها .
لا تهتمى ، سأقول له ما يُصلح هذا الشأن ،
ثم ما هى إلا ليالٍ حتى تزفى أنتِ
لوالدها وتكونى لها أمًا

المربية : (فى خجل) مولاتى ! من أنبــاك بهذا ؟

تى : أتخفين حبك عنى يا شيطانة ؟
قد أخبرنى آى كل شىء لما طلبت إليه .
يد ابنته للأمير استشفع بى لك ، ويل له من
شيخٍ لم يُنسه حظ ابنته حظَّ نفسه !

المربية : مولاتى عفوًا !

تى : لا ـــ لا تعتذرى ، أنا مسرورة بسرورك .

أبشرى سأقوم بكل جهازك ياتاى .

المربية : مولاتى ، شكرًا لكريم سجاياك !

تى : هل أفهمتها أنها ستسمى مُذِ اليوم تادو ؟

المربية : أجل .

تى : ماذا قالت ؟

المربية : قالت لى إن اسمها كان أحلى من هذا

تى : ساءها تبديل اسمها ؟

المربية : واستاءت لتبديل هيئتها أيضًا
إذ شهدت الدمع يجول بعينيها لما
نظرتُ وجهها فى المرآة فارتجفتْ شفتاها
تتمتم : شوهتمونى لقد كنت أجمل منى اليوم
فطفقتُ أهدىء من نفسها وأكفكف من دمعها
وأقول لها « مرآة الزوجة عين الزوج
وذوق الفتى مقياس جمال الفتاة »
فمالبثت أن سُرِّىَ عنها قليلا

تى : سَرِّى عنها دائمًا شجعيها وكونى الأم الحنون
إنها لا أم لها .. لا أم لها إلا أنت ياتاى !
الحق يقال ـــ لقد كلفناها شططًا
فعزيز على المرء أن يتبرأ من نفسه .
والآن اذهبى فأعدِّيها الإعداد الأخير ،
فأبونا الكاهن قد جاء فلتأخذى أهبتك .

تى : **(تفتح الباب الموصل إلى الجناح الخاص بفرعون على يسار المشهد)**

يا غلام انطلق فادع لى مولاك

صوت : **(من الداخل)** مولاتى سمعًا وطاعة

(تخرج الملكة تى من الباب الموصل إلى بهو الضيوف ثم تعود بعد قليل ومعها رئيس كهنة أتون والأمير ـــ يأخذون مقاعدهم)

الغلام : **(على الباب)** مولاى الفرعون قادم !

(تخف الملكة لاستقباله على عتبة الباب ـــ تساره حينا ثم يدخلان ـــ يقف الكاهن والأمير احترامًا)

فرعون : **(يصافح الكاهن)**

أهلا بعميد أتون وسهلا

مرحبًا ألف مرحب !

الكاهن : صلوات الرب أتون على فرعون !

بركات الرب على فرعون وأنوار القرص الأقدس

فرعون : **(يضم إليه الأمير)**

أبشر يا بُنَىّ ستنسى اليوم جميع همومك

وسترضى عن فرعون أبيك !

(يعتلى عرشه وتقعد الملكة على عرشها إلى جانبه)

فرعون : **(سرًا للملكة)**
لعبة والرب جميلة !

تى : اسكت ويلك !

فرعون : مسكين هذا الغلام الخيالى !

تى : صه لا يسمع قولك !

فرعون : يحسب أن الميت يرجع حيًا
حرام عليكم لسوف تردونه مجنونًا .

الأمير : **(لنفسه)** ويلى ! مالى أتهيب هذا اللقاء كأنى لاق غير حبيبة قلبى !

(ينفتح باب الحريم — يظهر أربعة غلمان يحملون سريرًا عليه جثمان مسجى بغطاء أسود — يضعون السرير على الأرض)

فرعون : **(همسًا للملكة)**
أخشى أن تعطس أو تتحرك قبل الأوان
فيبطل تدبيركم ، هايخيل لى أنها تتحرك !

تى : **(همسا)** اصمت يا شيخ ، أما لمزاحك منْ آخِر ؟ اعزفوا أيها المطربون اعزفوا !

رئيس الجوق: أى لحن تأمر مولاتى أن نعزف ؟

تى : الأمر لمولانا الكاهن

الكاهن : **(يحنى رأسه)**
شكرًا مولاتى .. لحن الصلاة إذا شئت

(تصدح الموسيقى بلحن الصلاة وتسطع المجامر

بالبخور بينما يرتل الكاهن على نغمات الموسيقى)

سبحــوا اسم أتــون مجدوا ذكــــــره
أيها الصالحون رددوا شكــــــره
ربنــا المعبــود الحى الـــدائم
بسناه الوجــود كلُّـــه هـــائم
يستمــد الكــون مــن يديـه الحيــاه
مُــعْلى فرعــون ومــذلّ عــداه
حامــى الــوادى ومفــيض النيــل
وهــــو الهادى لسواء السبيـــل
هــذا أمنوفــيس العبــــد الخاضع
قــد جــاء إليـك بقــلب خــاشع

يرجو أن تعيد الحياة إلى من أحب
ونوالك أوسع من أن يضيق بهذا الطلب
أنت يــا مــن أوجدهــا مــن عــدم
لا يعيــيك إحياؤهـــا مــن جديـــد
يارب الفضل الواسع ياذا الكرم
المبدىء أنت وأنت المعيد

(يتقدم إلى الجثمان المسجى ويكشف الغطاء عن أعلاه ويضرب على ذراعه)

قومى يا فتاة بإذن الرب أتون

المسجاة : **(تتحرك)**

من ذا جاء يوقظُنى ؟ دعنى فى نومى

الأمير : تادو !

الكاهن : قومى يا بنية قومى !

المسجاة : (**تتثاءب**)

دعونى فى نومى يا ناس دعونى !

الأمير : تادو !

الكاهن : هذا أمنوفيس حبيبك هلا تقومين له !

الأمير : تادو ! يا رب لك الحمد ! تادو !

المسجاة : (**تجلس**)

أمنوفيس حبيبى ! أهذا صوت حبيبى ؟

(تنهض وتدير طرفها فى أنحاء البهو)

الكاهن : هذا أمنوفيس حبيبك !

الأمير : (**يتقدم إليها**)

تادو ! روحى !

نفرتيتى : (**تفتح ذراعيها تستقبله**)

زوجى ! أميرى !

(ستار)

المنظر الثالث

الإيمان

(فى مخدع نفرتيتى ـــ غرفة واسعة نقشت على جدرانها رسوم فنية للطيور الجميلة والأسماك البديعة و لزهر اللوتس يسبح بينه سرب من الإوز وكلها رسوم طبيعية ناطقة ـــ يقوم فى ركن منها سرير من الذهب عليه ستائر من الحرير الأبيض مطرزة بورود حمر زاهية ـــ نفرتيتى نائمة على السرير ـــ يبدو إخناتون على مقعد صغير بجنب السرير ينظر تارة إلى وجه نفرتيتى وتارة إلى السماء الصاحية المرصعة بالنجوم من نافذة مفتوحة أمامه تطل على الحديقة ـــ الوقت ليل فى السحر ـــ الشموع مضاءة فى أركان الغرفة الأربعة .)

أخناتون : كيف أثنى عليك إلهى ؟ بأى لسان ؟
يا من خلق الألوان أفانين شتى
وأرسلها تسرى فى هذا الكون العجيب !
فى السماء وزرقتها ، فى البحر المحيط
فى النجوم ولألائها ، فى انبثاق الفلــق

فى سواد الليـــــل البهيم وسود الحدَق
فى عناقيد العنب السود ، فى الشعر الحالك الغربيب
فى بياض الطلع النضيد وطل الصباح الغريض
فى إشراق الدر در البحـور ودر الثغـور
فى اخضرار غصون الـروض الـنضير
وعشب المرج المطير
فى المرجان الزاهى ، فى اللمى القانى ، فى العقيق
فى ريش الطيور الجميلة ، فى ألوان الفَراش البديع
فى أصابيغ الأزهار وأطياف قوس قزح .
ربِّ ما أندى كفَّيك وما أسخاك بهذا الجمال ،
ما ألطف صنعك رب وأبدع فنك !
هذا الزهر مختلف الألوان ويُسقى من ماء واحد
أسُدًى يارب خلقت الفراش الجميل ؟
أسدى يارب خلقت الزهر البديع ؟
أسدى يارب خلقت الأسماك الذهبية ؟
أسدى يا رب خلقت النجوم تلألأ فى ظلمات الليل ؟
والجميل النائم هذا إلى جانبى
كيف أبدعته كيف صورته سبحانك يا رب ؟
أى معجزة كبرى حليت بها فنك
أىُّ لون هذا الذى يستريح الطرف إليـه ؟
أى لون هذا الذى لا تشبعُ منه الـعين ؟

أمزجت أحاسن ما فى الألوان فيه ؟
أى لون هذا الذى يستصبى العين
فيجعلها قلبًا يشعر ؟
أى لون هذا الذى يفضى للقلب الوادع
بين الضلوع فيجعله عينًا تنظر ؟
فيه من نور القمر الأسكوب
إذا انساب فى الروض شَعْشاعُهُ من خلال الغصون
فيه من لون ماء النيل إذا ما فاض النيل
فسال على الوادى بخصوبته وغناه
فيه من نور الفجر الوسنان
إذا ما رنَّق فى أهداب جفون الليل !
من نور اليقين إذا ما استيقظ من أحلام الشكوك
ربى هل يعلم هذا النائم أن به
قام برهانٌ لك ساطعْ ؟
هل يعلم هذا النائم أن به عدتَ لى
بعدما كدتَ تذهب عنى ؟
هذا الصنم الغافى : هل يعلم أنى
سأحطِمُ أصنام الدنيا بيديه الناعمتين ؟
وستشرق من وجهه أنوارك فى العالمين ؟
ربى ! لا تسخط على إذا أسلمت فؤادى إليه
ما أعبده يا رب ولكن أعبد وجهك فيه .

عادنى اطمئنانى إليك من اطمئنانى إليه
وهدانى إلى الإيمان بحسنك إيمانى بجماله !
كيف أثنى عليك إلهى ؟ بأى لسان ؟
أنت يا من تعلم ما فى فـؤادى
أمــا يكفــيك صلاة فــؤادى ؟
أى نور فاض على قلبى فشهـدتك فى
كل شىء ليس عليك حجاب !
عجبًا كيف اسطاع هذا الجميل الصغير
أن يجعلنى كلى عينًا لشهود الجمال الكبير ؟
كيف اسطاعَ هذا الذى لا يعى الآن شيئًا من صوتى
أن يجعلنى كلى أذنًا لسماع لغى الأشياء
مسبحة باسمك ؟

(يسمع قرع خفيف على الباب وصوت ينادى)

الصوت : مولاى !

إخناتون : من هذا ؟ مربيتى ؟ أوَ قد جئت ياتاى
كى توقظينى ؟

الصوت : أجل آن وقت التهجد يا مولاى
(إخناتون يفتح لها الباب فتدخل)
لكنك يقظان بعدُ عليك ثيابُك يا مولاى
أما نمتَ الليلة ؟

إخناتون : كلا ما نمت الليلة ياتاى .

المربية : نم قليلا إذن فكفى ما تهجدت فى أول الليل

إخناتون : أأنام الآن إذ استيقظت أرواح السماء
وساد السكون وشفّ عن النور الأبديّ الحجاب !
حَسْبُنَا أننا سننام طويلا غدًا
حيث يحجبنا عن نور الشمس ونور النجوم التراب .

المربية : آه لو علمتْ مولاتى أمُّك !

إخناتون : لا تقولى لها إنى ما نمتُ الليلة ياتاى .

المربية : ثق بى أنى لن أقول لها شيئًا

إخناتون : بورِكتِ !

المربية : ألم تستيقظ نفرتيتى ؟ هل أوقظها لك ؟

إخناتون : كلا .. اتركيها نائمة .. سأنبهها أنا .

(تخرج المربية — ترفع نفرتيتى رأسها وتبتسم ثم تعود إلى هيئتها الأولى متظاهرة بالنوم دون أن يفطن لها إخناتون)

إخناتون : **(يقترب من السرير)**
هل أوقظها أم أجدر بى تركها فى غفوتها ؟
ما أجملها من إنسانة أيقظتنى ونامت !
ما أسعد حارسَ هذى الجوهرة الغالية !
إنه لا يخشى عليها الضياع ولكنه
يخشى أن تمضى ثانية دون أن
تملى العين بطلعتها ! ربَّ ما

أعجبَ الوقتَ : يغلو وينفُس حتى لا
تعدل الدنيا كلها لحظة منه أو ثانية ،
ثم يرخُص أحيانا حتى معظم العمر ليس
يساوى انتظار مَرام تطمع فيه النفس .
(**يقبلها برفق**)تيتى ! (**لا تجيب فيقبلها ثانية وثالثة**)تيتى ! قُومى تيتى ! آن وقت التهجد يا روحى .
تيتى ! (**يقبلها**)
(**لاتجيب وتغطى وجهها بالملاءة**)
قُومى نتمتعْ بهذا الهواء العليل
وهذا السكون الجميل
قُومى نخرجْ للبُحيرة حيث البدر يطالعنا
والنجوم تُناغينا فى السماء وفى صفحات الماء ،
وظلال النخيل على الماء ساكنة فى خشوع الصلاة !
قُومى يا روحى ! أمتعبةٌ أنت ؟ نامى إذن
بسلام : سأخرج وحدى وحالاً أعود إليك .
(**يقبلها من فوق الملاءة ويهم بالخروج**)

نفرتيتى : أوَ تاركنى وحدى أنتَ إخناتون ؟
ستضيع عليك الجوهرة الغالية !
بئس حارسها أنت !

إخناتون : (**يندفع نحوها بقوة فيحتضنها**)
ويلٌ لك ! هل كنت يقْظى ؟ ظننتك نائمة يا حياتى ،

أكنت سمعت حديثى ؟

نفرتيتى : (**ضاحكة**) أجل قد سمعتُ حديثك كله ،
ورأيتك تلْثم ما بين عينىّ كالمخْتلس ،
وطفقت أسارقك النظرات و لم تفطن
لى فما أغفلك !
(**تلمس ذقنه بسبابتها**)
سأعود الآن إلى نومى (**تنام**)

إخناتون : لأعود إلى تقبيلك هه ؟ كلا كلا ! لن أقبلك الآن ..

نفرتيتى : لا تقبلنى — من قال لك افعل ذلك ؟
مافائدتى أنا من هذى القبلات ؟
(**صمت**) احذر أن تقبلنى فى فمى بالخصوص وإلا نلت
جزاءك !

إخناتون : (**يقبلها فى فمها**)
ها قبلت فاك فما أنت فاعلة بى ؟
(**لا تتحرك .. يقبلها أيضا**)
ها قبلت فاك فما أنت بى صانعة ؟

نفرتيتى : (**تتثاءب**) ما شعرتُ بها إنى نائمة .

إخناتون : لكن النائم لا يتكلم ..

نفرتيتى : لكنَّ الحالم قد يتكلم

إخناتون : هل أنت إذن حالمة ؟

نفرتيتى : طبعا ..

إخناتون : ماذا تحلمين ؟

نفرتيتى : أن إخناتون يقبّلنى فى فمى .

إخناتون : ثم ماذا ؟

نفرتيتى : فعاقبْتُه !

إخناتون : بم عاقبته ؟

نفرتيتى : قبّلت فمه !

إخناتون : كيف قبّلته ؟

نفرتيتى : (**تنهض فتقبله**) هكذا .

إخناتون : هكذا ؟ زيدينى إذنْ من عقابك يا روحى ما أحلى هذا العقاب !

(**يتعانقان**)

إخناتون : عجبًا تصنعين معى مثْل ما كنتُ أصنعهُ من قبلُ مع المرحومة تادو !
(**فترة صمت يبدو فيها على نفرتيتى الوجوم**) والآن
ارتَدِى أثوابك يا روحى
وسأدعو أباك ليحرسنا . إن أمى قضتْ
بعد حادثة الأمس أن لا أخرج وحدى
(**يتجه نحو الباب ويخرج**)

نفرتيتى : تادو .. مايفتأ يذكر لى تادو فى كل مكان :
فى الحديقة يذكر تادو وفوق الزورق يذكرها
ثم فى مخدعى أيضا .. هذا شيء لا يطاق !

ويناديني باسمها أحيانًا على غير وَعْى
منه فيصلح غلطته ويذوب حياء ،
ويمر ببعض مواطن ذكراها فأرى
وجهه يربَدُّ وجوما .
أتُرى حبها لم يبرح حيا فى قلبه ؟
أم يحسبنى منها كالصدى من أغنية ضائعة ؟
قال لى يوما — يترضّانى — إن نادو كانت صداى ،
فاعترضت عليه بأن الصدى يأتى بعد الصوت .
قال لى لا قبل ولا بعد فى عالم الروح !
جائزٌ أن يكـذب يومـا على ولكننـى
لا أحسبـه كاذبـا فى مناجـاة ربـه .
ما أرتاب فى حبه .. هو يهوانى حقًا
لكن لا أطيق الصبر على ذكرها . لابد له
أن ينساها — أن يمحُوَها من عالم قلبه .
ويلها ! إنها لتلاحقُنى من وراء القبر .
ابعد عنى يا هذا الظل الثقيل !
ويلك اغربْ من عينى يا هذا الشبح !
(صمت قصير)
فيم أحملُ هذا الحقد عليها ؟ وما ذنبُها
هى أن كانت زوجَةُ قبلى ؟ ما أظلمنى !
ما أضعف قلبى وأجهل عقلى !

أأغار عليه من امرأة هلكتْ فى الدهر ؟
عنى يا أيتُها الغيرَةُ الحمقاء إليك !
لكن ماذنبى تأكل نارُ الغيرة هذى
فى صدرى وتُكدر صفو حياتى ؟
لم تمتْ تادو .. هى عائشة فى هذا المخدع —
فى أركان القصر وفى شُطآنِ البحيرة —
فى أفْياء الحديقة — فى طُرقات المدينة —
فى جَوها هذا الخانق !
سأحَرِّضه أن يبرح هذا القصر الثقيل ،
بل يبرح طيبةَ أجمعَ هذى التى
ما انفك جماعة كهّانها يحقدون عليه
ويأتمرون به لاغتياله ..

(يدخل إخناتون)

إخناتون : أارتديت ثيابك ؟ هيا بنا نخرُجْ
ياتيتى إن أباك تقدمنا للبحيْرة —
ما بالك واجمة هكذا ؟ ماذا بك يا روحى ؟

نفرتيتى : لا شيء — تذكرت أمرًا سأفضى به لك فى الزورق

(يخرجان من باب الحديقة)

(تدخل المربية تاى مرتدية معطفها)

تاى : خرجا وتقدَّمَ زوجى قبلهما يا للزوجين السعيدين !

(تطل من النافذة على الحديقة)

ما أجمل ممشاها فى هذا الليل المُقْمر
بينَ غصون الرَّوض كأنهما قطعتان
من السُّحب جنبًا لجنبٍ ساريتان !
هاهما يدرجان كأنهما سائران إلى
عالم غير عالمنا هذا — عالم عُلوىّ جميل
ما تمنيت كاليوم عودَ ليالى الشباب !
هذا الفرعونُ الصغير أرانا جمالَ الحياة ،
وكساها من روحه أفوافا سحْرية !
سأفاجىء زوجى الآن هنالك عند البحيرة يرعاهما
وحده ، فسأرعاهما معه فى هذا الهدوء الجميل .
ونُدير شهىّ الأحاديث ما بيننا مثلما
يفعلان .. لعَمْرى لهَذا شىء بديع !

(تهم بالخروج من باب الحديقة)

أيامَ الصِّبا المنصورةَ وأسفاه عليك !

(تدخل الملكة تى من الباب الآخر)

تى : أين إخناتون ؟ أقد خرَجا ؟ ماذا
تصنعين هنا ؟ أين ذاهبةٌ أنت ؟

تاى : لا شىء يا مولاتى لكن دعانى هذا الجوُّ الجميل
وهذا الليلُ المقْمرُ أنْ أتسللَ نحو البحيرة
أرعاهما مع آى ، فهل لكِ أن تخرجى معنا ؟

تى : كلا .. لا أكدّرُ صفوكما يا تاى .

حتى أنت يا تاى أمسيْت شاعرة
تقفين خُطا ابنى إخناتون !
البحيرة ..سقيًا لأيامها ولأيام أمنوفيس !.
إنها كانت لِى يا تاى بالأمس ، أما اليوم
فقد أضْحَتْ لنفرتيتى ولتاى .

تاى : كلا .. لم تزل للكِ يَامولاتى — نحن جميعا لمولاتى

تى : بل مضت أيامى يا تاى عُدت وما فى يدى
شىء منذ مات حبيبى أمنوفيس .
حتى ابنىَ إخناتون الذى كان فى إصبعى
خاتما والذى كان لا يقضى أمرًا دونى
عاد اليوم لا يعتدُّ بشىء من رأيى ،
فمحا اسم أمون من اسم أبيه على رغمى ،
ونوى أن يبْرحَ طيبة مهد أبيه
وموطنَ آبائه من قبل لينشىء عاصمة
أخرى فى أرضٍ قَفْرٍ يَبَاب .
سيفارقُنى ولدى ياتاى ويتركنى
وحدى أتعذب فى أخرى أيام حياتى

تاى : الأمر يسيرٌ يا مولاتى : ما دام إخناتون
مُصرًا على أن يبرح طيبة فالرأىُ أن
تَتْبَعيه إلى حيثُ يهوى فيبقى الشملُ جميعا

تى : هذى أنت أصبحت من رأيه ياتاى !

أتريدينني أن أغادر موطن أحلامي
ومغاني حبي ومهد شبابي ؟
أتريدينني أن أبرحَ هذا القصر الذي
شاده لي أمنوفيس وأنشأ هذي البحيرة من أجلي
وأعيش هنالك كالضيف في غُربة لا تُطاق ؟

تاي : في سبيل أتون جميع المصاعب يا مولاتي تهون .

تي : آه ! ما شأني اليوم وشأنُ أتون ؟
لم يعُد لي حتى طمأنينةُ الإيمان القديم ،
أصبحت أرى خطئي فيما ربّيتُ عليه ابني
من نعومة أظفاره فجلبتُ الضر على نفسي وعليه !
كانت لي مطامع في السلطان تزيد على
مرّ الأيام ، وكان حبيبي أمنوفيس
حليما وديعا ، وكان نفوذ رجال أمون
يُضايقني فأردتُ القضاء عليهم بدين أتون ،
لكنني وجدتُهُمْ أقوى مما كنت أحسبهم
فرأيت الخليق بنا أن نُسالمهُم فهو خير وأبقى .
ما كنتُ بحاسبة أن يبلُغَ بابني الأمرُ
إلى أن يزعم أن الربَّ يخاطبه ،
وبأمر الربّ يقول ويفعل ، في إخلاصٍ
قويٍّ ليس يبالي فيه بذكرى أبٍ
أو مشورة أمّ ، ولا يخشى من صغير ولا من كبير ،



ولا يتهيب مما يهدد مهجته من سوء أو
يتهددُ سلطانه فى مصر وفى غيرها من ضياع .
إنه ابنى الوحيدُ وأخشى عليه عواقب دعوته هذى
فالبلاد تُراقبُ أفعاله بعيون السُّخط وتخشى منه
على أديان آبَوّتها والآلهة الأقدمين .
انظرى كيف حاول ذاك الشقىُّ اغتيال ابنى
عائدًا من نزهته القمرية ليلةَ أمس —
هذى النزهات التى طالما كنت حذَّرته
منها — لو يسمعُ لى قولا ياتاى !
انظرى هل سمعتِ بفرعونٍ قبله
يتجرأ إنسانٌ قط أن يغتاله ؟

تاى : لكن الرب حماه وألقى الرُّعب بقلب الشقى .
لا تخافى عليـــه فمـــولاه عاصمُـــه
مـــن كل شقـــىٍّ يريـــد بـــه أىَّ سوء

تى : ربما كان هذا صحيحا فقد رِيعَ ذاك المجرم
لما واجهَ إخناتون فخاطبه ولدِى بكلام
رقيق وساءله ماذا أغراه بقتل مليكه ،
ثم أنشأ يدعوه للإيمان بدين أتون

تاى : حقا يا مولاتى لم نسمع بأعجب من هذا

تى : بل أعجب من هذا أنه حال دون عقابه
وأبى إلا أن يعفو عنه ويشمله برعايته وجميله .

تاى : بَيدَ أن الشقى أقرّ له بعد ذلك
أن عميدَ أمون زَجَاهُ إلى جُرمه هذا .

تى : ولـذلك آلى يمينـا لَيستوليـنَّ على
أوقاف أمون لينفقها فى مجد أتـون
فاحزُرى كم يوقد هذا من نيران عداوتهم حينما
يُصرون المال الذى يعبدون يُصادَرُ منهم .
أنا خائفةٌ ياتاى عليه

تاى : تبَّتْ أيدى كهّان أمـون وتبُّـوا !
لا تخافى عليه سيعصمه السرب منهم

تى : ما يُؤمنُنى أن يجىءَ شقىٌّ أغلظُ من
هذا كَبِدًا فيريق دم ابنى الوحيد ؟

تاى : سيرافقه زوجى دائما فاطمئنى عليه .

تى : إن زوجك شيخ كبير لا يكفى وحده
سأعززه بكبير الشرطة (ما هُـو) عسى
لا يُعـارَض فى هـذا ابنـى إخناتـون !

تاى : زوجىَ شيخٌ يا مولاتى ؟ كلا .. ما زال به فضلٌ من
شباب !

تى : عفوًا ياتاى فلم أقصد أن أسيىءَ إليك
ولكن (ما هُو) شديد البأس قوى

تاى : وهو يا مولاتى أيضا شديدُ الباس قوىّ ،
إن كان ليرْفعنى هكذا بيد واحدة ،

شهدتنا نفرتيتى يوما فاسأليها إذا
شئت — كادتْ تموتُ من الضّحك يومئذ

تى : لا حاجة بى لِسؤَال نفرتيتى ياتاى !.
أنت صادقة عندى — أتجيد نفرتيتى إلا الضحكات ؟
واحرّ فؤاداه من هذى الرعناء اللّعوب !
فى إمكانها لو تشاء — ولكنها لا تشاء —
أن تثنىَ من غَرْبه وتُكفكِف من بدواته ،
فهو يصغى لها لا يعصيها فى شيء .

تاى : لأراه حريصًا على أن يطيعَك يا مولاتيَ أيضًا .

تى : ما أنكرُ ياتاى طاعتَه لى ورقَّته نحوى .
إلا أنها طاعة ابن برٍّ لأم عجوز
يحاولُ إرضاءها فيصدِّقها فيما قالت
إشفاقا على قلبها لا اقتناعا بأقوالها —
طاعة المضطرّ وليست طاعة ذى الاختيار .
أين هذى الطّاعة من طاعة الحب العمياء
التى لا يمن بها من يُطيع على من يُطاع ،
بل يحس لها لذةً عُظمى فيراها عليه
يدًا للمُطاع جديدة ؟
مثل طاعة أمنوفيس حبيبى لى لا طاعة إخناتون .
إن كان ليَغْضبُنى زوجى أحيانا ولكنه
إغضابٌ أحبُّ إلى قلبى من إرضاء إخناتون .

هكذا طاعةُ ابنى لزوجته اليومَ —
لا بل أعظمُ من هذا ياتاى .
إنها لتريد الشىء لها فيه مصلحةٌ
فيُخيِّلُ لا بنىَ أن الربَّ يريده .
هى تكره طيبةَ من أجْلى ولذا حرَّضَتْه
على أن يهجرَها ويؤسس عاصمةً
أخرى لتقيم بها وحدها حيث لاتقْذَى
عيناها برؤية ظلى الثقيل !

تاى : لكن .. هى لم تأمُرْهُ بذاك ولكنَّهُ
هو قال لها إن ذلك أمرُ الرَّب .

تى : إن أمر نفرتيتى هو أمر الرب لديه !

تاى : لا لا .. لا تلوميها هكذا بحياتك .. لا
لا تقولى هذا عليها فإنى أدرَى بها
منك .. ليستْ سوى طفلة ساذجة

تى : حسنًا ، دافعى عنها إنها ابنة زوجك ياتاى .
طفلة ساذجة ! ها ها أنت الطفلة الساذجة !
لو كنتِ مكانى لكانتْ عندكِ أثقلَ مِنْ
أمها لو كانتْ تعيش !
ولعامَلْتِها بقساوة ضَرَّة أمّ !
غرها حب إخناتون لها فمضتْ تتجاهلُ أمَّه !

تاى : سأقولُ لها ترجوكِ العَفْوَ وتسألك المعذرة

تى : كلا .. لا تقولى لها شيئا — لا تحسبنى
أشكوها إليك فَتَشمت فى سرِّها بى !

تاى : بلك يا مولاتى تشمَت ؟ لا يا مولاتى
لا تظنى بها كل هذى الظنون
اصفحى عنها .. إنها لا ذنب لها .. مسكينة !
أوَ لم تذكرى إذ أوصيتنى أن أكون لها أما ؟
اصفحى عنها .. واذكرى أنها لا أم لها !

تى : لا أم لها ! كلنا لا أم لنا ياتاى !
ما حاجتها للأم وأنت لها أمٌّ لم تلدها ؟
والآن امضى نحوهم إنى أخرتك عنهم .

تاى : ألا تخرجين معى ؟

تى : لا — سأبقى هنا خيرًا لى حتى تعودوا .

تاى : سنعود وشيكًا على كل حال فهاهو ذا
طلع الفجرُ الثانى أو كاد .
عن إذنك مولاتى .. (تخرج)

تى : ويلها تتجاهل أنى أمُّه .
تتناسى أنى التى اخترتها له .
لولاى لكانت بنْت مُرَبِّى جيادِه !
أتُساميني أنت يا بنت آى ؟
لا يَغرّنك حبُّ ابنى لك وادرى بأنىَ ما زلتُ تلك الأم
التى ربته وليدا .

اعلمى أنه لن يُلفى أمًا سِواىَ .
واذكرى أنه كان يعشق تادوَ عشْقكِ من قبلك ،
فسلاها اليوم كأنَّ لم تكن شيئا مذكورا .
فاحذرى ! رُبَّ يوم تكونين فيه كتادو !

(تقعد على طرف السرير)

ويحَ إخناتون ابنى ! ماله شُغلٌ بسواك .
ليس مذْواقا كأبيه يهيم بهذى وهذى .
طالما ذقْت المُرَّ من صَبَوَاتهْ .
إلا أن ذلك كان يزيــــدُ نفاستـــــه
عندى ويزيد هيامى به ،
كنت أشْعُر أنى أمْلك قلبا عظيمًا ينُازِعنى
فيه خلقٌ كثيرٌ فلا يظفرون بمنزلتى عنده ،
وأحسّ كأنى عاصمةٌ لمليكٍ عظيم
له مـدُن شتـى فى البـلاد توابـعُ لى
كلما كثرتْ عددا زادتنى عُظمـا .
أين قلبُكَ يا ولدى من قلب أبيك ؟
أين مُلكُكِ أنتِ نفرتيتى من مُلكى ؟

(تنهض إلى المرآة المعلقة على الحائط على يمين السرير)

أنا أجمَلُ منكِ وأقوى منك نفـوذا .
حتى ولدى لم يُحببك إلا بأعجوبة .
عجبـا ! مـالى أتحرّق وجـدًا عـليها ؟
مـا بـالى أوازنها هكـذا بى كـأنى

ضرّتها وكأن ابنى — باللعار — زوجى !
هى زوجته دونى وأنا دونها أمُّه ،
لى منزلة عنده ولها منزلة ،
فعلام إذنْ غَيرتى منها أو غيرتها منّى ؟
ماذا اقترفتْ من ذنب فأمْقتها كل هذا المقت الشديد ؟
لاَ لوْم على غيرى ، كل ما نابنى كان منى :
أنا ربيت إخناتون على هذا فجرى ما جرى
فعلام أضيق بما قد سببه فعلى ؟
وأنا اخترتُها لتكون له
زوجًا ! مَن ذا اختارها غيرى ؟
فعلام يضيق بها صدرى ؟
زوجةٌ أخلصته الحب وأخلصَها حبَّه :
أفأسلبه قلبها أو أسلبها قلبَه ؟
أنسته الحزْن الذى كاد يْبخعه أو يذهب عقله !
واستأنف فى ظلها عيشه : أأجىء أجاذبها ظله ؟
إنّهـا لم تُنكـر حـقّ الأم علـىّ !
أفأنكر حق الزوجة ظلمـا عـليها ؟
ما أنقم منها اليوم سوى بُعْد أطماعها
واتساع محيط أمانيها مثلى حينا
كنت فى سنها — أألوم اليوم عليها ما
قد أبحت لنفسى أمس ؟
فيم لا أزْهَى باختيارى إياها زوجًا لا بنى ؟

إنها لا تنقص عني في سحْرِهَا وَملاحتها .
أي طرْف يفقَه معناها فسُلوًّا يُطيق ؟
أيُّ قلب تشْمله خمر عينيها فيُفيق ؟
هي سمراءُ مثلي ونحن — السُّمر — بطاءُ الرّمي
ولكن من نرم نُصِمْ ومن نُصمه نُردِهِ ،
لسنا كالبيض سراع الغزو سراع الفتح
ولكن سرعان ما تتحرّر من رقهنَ القلوب !
إنّ إحدانا معشر الزوجات لتَطغى على الزوج
إنْ آنست حظوةً عنده وبها مَسْحةٌ من جمال ،
فتنَاسى أن له أمًّا حملته شهورًا
وغَذته من دمها وحبَّته عنايتها
أعواما ، وكانت تتيه به فخرا ،
وتراه لها في آخر أيامها ذخْرا :
فعلام إذن أنحى باللوم على هذه ؟
أوَ لم أصنع بحماتي ما صنعَتْ هذه بي ؟
آه ! إن حماتيَ كانت أكرم مني
وأوسع صدرا معي مني مع زوج ابني .
اليوم تصورت أحزانها وشعرت بآلامها
بيْد أني لم أصبر صبرها ما أظلمني يا إلهي !
ماذا صنعتْ بي نفرتيتي المسكينة ؟
إنها خيرٌ لي مما كنت لأمّ حبيبي . (إخناتون)

لا أم لها .. حقًا إنها لا أمَّ لها .. مسكينة !
ماذا يا نفسُ تريدينها أن تكون ؟
أتموت ؟ أتهرُبُ من زوجها من أجل أنانيتك ؟
ربى ! لمَ لمْ تخلق لى قلبًا أطيب من هذا ؟
تبًا لك يا قلب ما أقساك وما أصلدك !
لوددت لو أنَّ ضلوعى لم تضطمَّ عليك !

(تخرج) (تدخل نفرتيتى وتاى)

تاى : ما أجمل مرآكما فى الزَّورق من زوْجَين !
نفرتيتى : أتحبين أن تركبى وأبى زورقا مثلنا ؟
تاى : ياليت لنا مثل ذاك وإن كنتُ أشعرُ
أحيانا بالخوف من البحر ليلا !
لكنك واجمة هكذا خائرة ..
ماذا بك يا ابنتى الليلة ؟
نفرتيتى : لا شىء سوى أن نفسىَ أضحتْ تعاف الطعام
وأصبحتُ أعشق زوجىَ أكثر من ذى قبل
وأشعر أحيانا بكراهية له .
تاى : هذا وحَمُ الحمل ويْلك إنكِ مثلى تماما .
ستجيئننا بولى العهد إذَن وأجىء بصنْوٍ لك
(لنفسها)
ويلٌ لك يا آى ! عما قريب تُصبح جسدا !
نفرتيتى : قولى لِي ياتاى فيم تأخرت عنا كثيرا ؟

من ذا كان عندك أهي حماتي ؟ وماذا قالت لك ؟

تاي : سألت عنكما وشكتْ لي من عزم مولاي
إخناتون على ترك طيبة ..

نفرتيتي : أوَ ما تخشى كهانَ أمونَ عليه ؟

تاي : بلى ، هي خائفة منهم .

نفرتيتي : كيف تخشى عليه وتشكُوَ مما يعصمه منهم ؟
أوَ لم تر كيف تآمر هذا الفريق الخبيث عليه و لم
يُحْجم حتى عن سفك دمه ؟
كيف أرّث في الناس نار العداء له والحقد عليه ؟
أيحق لها أن تنصحه بالبقاء هنا
في هذا الجوّ الخانق والبيئة المْوبوءة ؟
هذا ما أخاف على زوجي المحبوب فهلْ
في خوفي على زوجي من ملامٍ عليّ ؟
أوَ ليس جديرًا بي أن أسأل أين حنانُ الأمّ على نجلها أين
عطف الأم عليه
إنها لم تشأ أن تبرح طيبة من أجل أنْ
تحيا في أطلال ماضيها فليكن ما تريد ،
ولكن أليس جديرًا بها أن تُفكر في
حاضر ابنٍ عزيزٍ لها إن لم تهتم به
فله زوجةٌ لا همَّ لها غيرُه في الحياة ؟
زوجةٌ وجدتْ فيه ما فقدتْ منذ كانتْ في

مهدها من حنان الأم فكان لها أماً
وأخا ورفيقًا وبعلا
أمىّ ! أمىّ ! نعْمَ مامت يا أمى قبلى
إن يكنْ حظى منك حظ حليلى من أمّه
أمىّ ، هل كانت فيك أنانيّةٌ مثلها ؟
هل لو عشْت كانتْ حياتى عندك أرخص من
أطلال ومن ذكريات تعزُّ عليك ؟
هل لو عشتِ كنتِ تغارين يا أمىّ من بعلى علىّ ؟

تاى : اخفضى من صوتك لا يسمعْك أبوك وزوجكُ هاهما
أقبلا . (**يدخل إخناتون**)

إخناتون : ادخُل يا عم فليس هنا إلاّ أهلُك .

آى : (**يدخل**) ماذا ؟ أبقَيتِ هنا ياتاى ؟ أما تأوين إلى
مخدعك ؟

تاى : ماشأنك أنت ؟ سأبقى هنا ، لم يعُدْ للنوم
الآن مجالٌ وقد كاد يطلع وجه أتون .

نفرتيتى : إنها تشتهى زورقا مثل زورقنا تمتطيه
وإيا أبى : مُرْ لها بمشيئتها يا حبيبى

تاى : لاتُصدقها لم أقُلْ هذا القول يا مولاى

نفرتيتى : لم أقل قُلْتِ هذا القول ولكن تمنّاه قلبك

آى : لم يَبْقَ سوى أن نُبَصر تاى على زورقٍ يتهادى بها فى اليمّ !

نفرتيتى : وستركب أنت إلى جنبها يا أبى

آى : فَتُناغى النجوم معى وتقصُّ علىَّ حديث السماء !
وتُطوّقنى بذراعيها البضَّتين

نفرتيتى : فتحلم أنك تسبح فى جدولَين من النور !

آى : ونعود كما كنا شابين فتيَّين !

تاى : هل تهزأ بى يا آى وأنت أبى تسخرين معه ؟

آى : يالى منها إن لم أُطْرِها تغضبْ منى
وإذا أثنيتُ على حسنها حسبتْنى أسخر !

تاى : (**غاضبة**) لن أقعد بينكما فاصنعا ما تشاآن بى
لا طاقة لى بأبٍ وابنته !

(تخرج)

إخناتون : لا تباليهما ياتاى فإنى معك ـــــ
إبقَىْ بيننا .. إبقَى ياتاى .
فيم أغضبتماها ألم تعلما أنها بمكانة أمى ؟

آى : دعها تنصرف سأصير إليها يا مولاى فأرضيها !

(ينهض)

استرحْ أنت يا مولاى فإنك متُعب

(يخرج)

إخناتون : سننام قليلا يا روحى ريثما يتجلى وجه أتون

نفرتيتى : نمْ وحدك أنت فإنى شبعتُ من النوم

إخناتون : بل تنامين أنت معى .. لن يأتينى النوم إنْ
لم تكن كفّاك على رأسى

نفرتيتى : حسنًا سأنيمك بين ذراعىَّ يا طفلى !

(ينهضان معا إلى جهة السرير ويضطجع إخناتون وتقعد نفرتيتي على حافة السرير وتجيل كفها على رأسه وظهره وتهدهده)

نفرتيتي : **(تغني)**

نَم يا بُنيَّ الحبيب   نم فالصباح قريب
نم فالهواء جميل   نم فالنسيم عليل
نَم نم فهذا النُّعاس   خلالَ عينيك جاس
مُسترقًا فى التماس   مضجعه فى الحواس
نَم يَا بُنيّ الحبيب   نمْ فالصباح قريب
واحلُم بمهد جديد   فى ظل قصر مشيد
فى سهل أرض بعيد   كلُّ ضحًى فيه عيد
مدينة من ضياء   ليس بها أشقياء
سكّانها أولياء   لسيّد الأصفياء
يشيع فيها السلامْ   وليس فيها خصام
إلا سجَاعَ الحمامْ   على فروع البَشام
يَعبُدُ فيها أتون   سكانُها المخلصون
وليس فيها أمون   وقومه الظالمون
مدينةٌ تزدهى   بفنِّها فى الفنون
تُبنى كما تَشتهى   مدينةٌ أن تكون

(صمت)

ها قد نام طفلى الكبير ...

(تنظر إلى بطنها وتجسه بيدها)

وأنت ألا تستيقظ يا طفلى الأصغر !
ويلاه عليك ! أيقظان أم نائم أنت ؟
قل لى ذكرٌ أنت أم أنثى ؟
كلا .. لا تكن أنثى . كن غلاما جميلا
لكيما تكون ولى العهد لمصر

(تنهض وتجرى مسرعة نحو خزانة لها تفتحها وتخرج منها ملابس طفل صغير من الحرير فتقبلها وتلثمها)

ويلاه لهذا الكُمّ الصغير .. الكُمّ الصغير !
ما أحلى هذا الكُمَيم ! وهذا كُمَيْم آخر له .
ستكون له كالناس يدان
وعشر أصابع حُمْرٌ صغار !
ما عسى أن يكون اسمه ربّاه ؟
آى مثل أبى ؟ هذا اسمٌ خفيف الظل جميل .
لكن لابد من اسم يضاف إلى اسم أتون .
ما رأيك فى توت أتون ؟ توت أتون بديع بديع !
وإذا كان أنثى فماذا تُسمينها ؟ لا لا —
لا أرغب فى أنثى .. سيكون غلاما جميلا
يَلِى عهد مصر .. ولكن إذا جاءت أنثى
ما بالك تأبيْن الأنثى ؟ ستكون فتاة
ساحرة الحسن مثل نفرتيتى أمها !

وسَتُخلص لى حبها مثلما أخلصت الحب لأمى .
أمى ياليتك يا أمى تبصرين نفرتيتى أمّـا !
بل ليتك يا أمى تبصرينِ نفرتيتى مَلكـه !
ما أحوجنى فى أيام أنسى وساعات همّى
أن يشاركنى فيها وجه أمى !

إخناتون : (**يصيح من على سريره**)
أبْق يـا حـامـل الفجـر ! أبْـق هنـا
إن نـورك هـذا يُنـعش قلبـى ! ...
وأنت امْكُث يا من فى يمناه الشمس
يـا حـامـل الشمس لا تـذهب عنـى
لا تتركنـى وحـدى فى الظـلام .
امكُثْ عندى أو خذنى معك !

(**تجرى نفرتيتى مسرعة نحو الخزانة وتعيد الملابس فيها وتقبل نحو إخناتون**)

نفرتيتى : ماذا بك يا روحى ؟ من تخاطب يا زوجى ؟ مَن تُنادى ؟

إخناتون : (**يجلس**)
أوّاه ! أما كانت إلا رؤيا فى المنام ؟
إن قلبى يرجف .. يا للبرد .. هلمّى إلى
جَنبى .. ضمينى يا روحى .. ضمّينى إليك !

نفرتيتى : (**تقعد إلى جنبه وتضمه إليها**)
ماذا بك يا روحى ؟ لا بأس عليك

إخناتون : (يتهج)

عجبًا يا رب .. أما كانت إلا رؤيا

لا بأس على .. أريني أنظرْ إلى عينيك .

(يمسك ذقنها وينظر مليا فى عينيها)

عجبًا ! إن عينيك تتسعان وتتسعان ..

وتتسعان .. كأن الكون الواسع

والزمن اللانهائىّ داخل عينيك !

ما هذا أرى ؟ هذا أحد الرجلين ، جميلُ الوجهِ

شديد الأدمة ، تقطر جُمته كالخارج من ديماس ،

يحمل فى يمناه الفجر وهذى مصر تضىء بنوره !

اغمُرنى يا نور .. فض يا نور على قلبى !

نفرتيتى : **(فى دهش)**

ماذا يا زوجى تقول وماذا فى عينَىّ ترى ؟

إخناتون : أبقى يا تيتى كما أنت ! أرجوك .. ما هذا ؟

هذا ثانى الرّجلين بهى الطلعة أبيض

مسقى بالحمرة أدعج فى عينيه بريق ،

واسع المنكبين قوىّ الذراعين يحمل فى يمناه

الشمس وهذى مصر تموج بأنوارها وتفيض

رويدًا رويدًا على الكون من أقصاه إلى أقصاه !

أقبل يا نور ولا تُدبر عنى .

ما هذا الفراغ القائم يا نور بينى وبينك ؟

اخطـه نحوى أو دعنـى أجـزه إلـيك !
انسبْ فى عـــروق ورؤّ عظامـــــى ..
اغمـرلى يـا نـور .. دعنـى أذبْ فى لهيـبك !
(يضم نفرتيتي إليه ويقبل عينيها بقوة)

نفرتيتى : رفقًا يا حبيبى رفقًا بعينّى .. عَمْرِى لقد
كدت تعميهما بحرارة أنفاسك !
دعنى أر ماذا ترى ..
(تتناول مرآة صغيرة على منضدة بجانبها فتنظر عينيها)
لكننيَ لست أرى يا روحى شيئًا
أين هما ؟ من هما ؟

إخناتون : اضمحلا كما يضمحل الخيال ولا أدرى مَن هما
إلا أن قلبى يحبهما ويحس كأنهما أخواى
وأنى وإياهما نسعى فى ذات الربّ الأحد .
وقد ابتسما لى ابتساما جميلا حُلـوًا صابَ
على كبدى الحرّى كالطل البرود الطهـور
يذكرنى بابتسامتك الأولى لما
أدنيتك من صدرى فلثمت ثناياك أول مرة !
ستُضىء بنورها مصر .. وافرحى ! عيشى
يا مصر وفيضى هُدى وضياء على العالمين !!

(ستار)

الفصل الثالث
فى مدينة الأفق
المنظر الرابع

(فى المدينة الجديدة أخيتاتون — فى القصر الملكى — فى بهو الاستقبال الكبير وهو آية من آيات الفن الإخناتونى الجديد ، أعمدته من الجرانيت الأحمر وجدراته من المرمر — يقوم فى صدره عرش كبير من الذهب الخالص وعلى جوانب البهو مقاعد وثيرة عليها وسائد مكسوة بالحرير — وقد نقش على سقف البهو صورة بديعة لشمس مشرقة واقعة فى الوسط تفيض أشعتها إلى كل الجهات وينتهى كل شعاع فى أعالى الجدران بشكل يد تمد الحياة وتهب القوة .

يدخل إخناتون والملكة تى قادمة من طيبة لزيارة المدينة الحديثة حيث استقبلت استقبالا باهرا — وتدخل نفرتيتى وخلفها سرب من نساء القصر ووصائفه :)

إخناتون : (يعانق أمه)

أهلا .. أهلا بك يا أماه وسهلا !

تى : يا بنىّ كفى ترحيبا كفى تأهيلا كفى !

إخناتون : كلا سأعيد وأبدىء ترحيبى بقدومك .

ما أعظم شوقى للقياك يا أماه !

هذا اليوم يوم لنا مشهود وعيد سعيد .

انزلى يا أخيتاتون نزول الطلّ على أكمام الزهر !

كيف يا أماه وجدتِ مدينتنا ؟ هل راقكِ
منظرهـا ؟ أوَ ليست أجمل مـن طيبـة ؟

تى : ما أجملها يا بنىّ وأعظَمَها من مدينة !
كل ما فيها سحرٌ وجمالٌ ونور !

إخناتون : لما تبصرى إلاّ جانبًا منها ..
سترين محاسنها بعد يا أماه
فتدرين أن أخيتاتون الجديدة درّة مصر
وأجمل عاصمة فى المشرق والمغرب .
سترين حدائقها الغناء تحيط بأقطارها
وتفيض بألسنةٍ تمتد خلال شوارعهـا
وقنىً مـن النيـل تسقيها وتسير وإياهـا
أينما سارتْ وتدور كما دارتْ ؛
وميادينها الفيحاء تفور نوافيرها بالماء
أنابيبَ مفترقات تذهب فى جوها صُعُدًا
صُعُدًا حتى تنحل قواها ويدركها الإعياء
فترتد يـائسةً مـن لثم جبين السمـاء ،
وتهبط راجعـةً تتـلاق فى سيرهـا
كخيوط الضياء ، فترسم أشكالاً شتى
كلها رائعٌ أخاذٌ تُذكر رائيها
بطباع الناس على هذى الأرض الغبراء
يؤلـف بين قلـوبهم يـأسٌ

ويفرّقُهــا طمــعٌ ورجــاء !
سترين بها الحيْضان البديعة
يَسبْح فيها الإوز الجميل
خــلال زهــور اللــوتس أسرابًــا أسرابًــا
يدفعهــا مــرحٌ وحيــاة وفضْل حبــور
فتعلــو لها فى الماء صدورٌ ، ثم تغــور
وقبــل ارتــداد الطــرْف تثــور دوالــيك
كالسُّفُــن الموّارة فى اليم يرفعهــا
موجٌ صاعد ويغور بها موجٌ هابط !

تى : ما أجملها يا بنىّ وأجمل منها شعرك هذا البديع .

إخناتون : سترين بها دار الفن يا أماه تخُطُّ
رسوم الطبيعة والإنسان بلا كذب أو رياء
وينطق فيها الصَّخر الأصمُّ دُمى وتماثيل .
سترين المعابد حالية بالعُمُدِ الرّفيعة
والجدران البديعة والرُّحب الواسعة ،
وترين بها عُبَّاد أتون يصلون فى صدقٍ وسكون
ويدعون مولاهم فيما يخشون وما يرجُون .
سترين بها وترين بها ما لم تَرَ من
قبلها عيناك ولم تسمع أذناك !

تى : أ إلى هذا الحد تعشقها يا بُنىّ
فماذا تركت لزوجك أو أمك ؟

لو كانت هذى المدينة أمًّا حنونا

لكانت إياك يا أماه

(يعانقها ويقبل رأسها)

ولو كانت زوجًا حسناء

لكانتْ أم مريتاتون

(يشير إلى نفرتيتى)

تى : إنى لفَخور بأنك بانيها ما أسعدنى

بك إخناتون

نفرتيتى : أنت جمّلتِها يا مولاتى بقدومك .

ستقيمين ما بيننا دائما فتزيد سعادتنا بك

تى : شكرا يا بنيتى الحسناء لحسن استقبالك .

كيف حالك أنت هنا ؟ أرجو أن تكونى سعيدة

نفرتيتى : يا مولاتى إنا سعداء هنا لولا بُعْدك :

طالما منينا أنفسنا بقدومك

حتى أقبل هذا اليوم السعيد

(تدخل مريتاتون وأخواتها)

تى : أهلا بحفيداتى أهلا !

(تضمهن إلى صدرها وتقبلهن واحدة بعد أخرى)

هاهُن كبرن كثيرا . لقد أصبحن اليوم عرائس

نفرتيتى : ها جاءت جدتكن التى كنتن تذبْن اشتياقا

إليها فهل أنتنّ اليوم سعيدات ؟

مريتاتون : هذا اليوم أسعد أيامنا بقدومك يا جدتاه !

تى : **(تفتح صندوقا لها وتخرج لعبا جميلة توزعهن على الأميرات)**

هاكن هدايا كن العين بها يابناتى ؟

(تخرج الأميرات فرحات بأيديهن اللعب)

بارك الرب فيهن ! ما أحلاهن من زهرات !

سيجيء قريبًا شقيقٌ لهن بإذن الرب أتون .

إخناتون : يستجيب الرب دعاءك يا أماه .

ربنا هب لنا من لدنك غلامًا

زكيا يخلفنى فى نصرة دينك

نفرتيتى : ويْكأن لا حظّ لنا يا حبيبى فى الأولاد الذكور !

إخناتون : لا تبتئسى يا زوجى إن الربّ يرى

ما ليس نرى ويخير لنا ما فيه الخير !

لو جاء غلام لما كان حبى له أقوى

من حبى لهذى الرياحين الناعمات !

ما أعظم حبى لهن وأسعدنى بينَهُن !

إن قلبى ليرقص من طرب كلما أقبلن

إلىّ يجررن من خلفهن ذيول السماء ،

أو لُحْن لعينى غُصنات شرقات بنور الرب ،

أو عانقننى عبقات بأنفاس الفردوس !

ما أطهر هذى الطفولة ما أحلاها وأعذبها

ما أقربها عهدا بيد الخلاق العليم !
سبحان مُربي الصغار وأمهم وأبيهم !
استريحى يا أمى فى جناحك —
كل هذا الجناح الأيمن لك
(يشير إلى الجناح الأيمن)
أنت فى حاجة للراحة من وعثاء السفر .
اعتنى ياتاى بخدمة مولاتك **(يخرج)**

تاى : سمعًا مولاى وطاعة .

نفرتيتى : إننا كلنا خُدام لمولاتى .

تى : شكرًا يا ابنتى شكرا ..

نفرتيتى : سأنيم الطفلة فى مهدها وأعود إليك
(تخرج حاملة طفلتها الصغيرة)

تاى : أهلاً بك يا مولاتى يا مرحبًا بقدومك !
كيف حال الناس بطيبة ؟ واشوقاه لطيبة !

تى : أوَ تشتاقين لها ؟ ها أنت هنا
بأخيتاتون الجديدة فى أنس ونعيم .
قد حالت طيبة عن عهدها يا تاى
وغاضت بهجتُها واجتواها ذاك البهاء القديم .
أضحت أطلالا ينعب فيها اليوم الشتيم .
لا الضحى فيها بالضحى لا وليس الأصيل بها بالأصيل
ساد فيها سكون الخواء وبئس السكون ،

لا يقرع سمعي بها إلا تهديدات حزب أمون !
يلعنـــون ابنـــي سرًا وجهـــارًا ،
ويريـــدون كيـــدًا بـــه وبـــوارا ،
ويشبون نيران البغضاء له فى الناس
ويُغرونهم بالخروج عليه .
ولقد نجحوا فى استمالة كهان رع وفتاح
وغيرهما ليكونوا إلبًا عليه !
إذ قالوا لهم إنه سيصادر أوقافهم
ويهد معابدهم أسوة بأمون .
بل هم قد ساروا أبعد شوطاً من هذا
إذ أتانى أنهم استهووا بعض القُوّاد إليهم .
ليت شعرى ماذا ابنى فاعل ضد هذى القُوى
كلها وهو مَن تعرفين عقيدته فى السلام ؟

تاى : اطمئنى سيعصمه الرب من شر هذى الكلاب ،
ويردهُم ناكصين على الأعقاب .

تى : الربّ تقولين ؟ ما شأنه فى هذا الغِلاب ؟
إنْ كان له ربٌّ واحدٌ فلهـم أربـاب .
القول الفصل هنا للظُّبَى والحراب !

تاى : فلدينا إذن هذا الليث الوثاب
القائد حور محب ..

تى : هذى أنت ياتاى قلت الآن الصواب ،

لم يبق لنا أملٌ أن يُكْشف هذا المصاب
فى غير بطولة هذا الشاب .
فهو مرهوب البأس ذو إخلاص بعْدُ لفرعون
لن يرضى أن يُسلمه أبدًا ،
فلقد عرض الكهان عليه العرش ليخذله فأبى
إلا أن ابنى فيما أرى لن يتبع رأيه ،
إنه يؤثر البطش بالثائرين وتأديب العاصين
وإخماد أنفاس الخائنين اللئام .
لكن ابنى كافر بالسيف الحسام
لا يؤمن إلاّ بدين الحب ودين السلام
وهو مَن تعرفين عنيد الرأى شديد المراس
فإذا ما حاول أمرًا مضى فيه لا يثنيه أحد .
(صمت قصير)
إلا زوجه طبعًا فهو لا يعصى أمرها .

تاى : كلا يا مولاتى .. حتى زوجُه
لا تقدر تصرفه عن أمر الربّ ..

تى : أو ليس يَرى أمرها من أمر الرب ؟

تاى : كلا يا مولاتى .. كم أشارت عليه
ببعْث الجند إلى سوريا بقيادة حور محب
للقضاء على الثورات بها فعصاها
وما بالىَ من أجل رضى مولاه رضاها

تى : أوَ قد كان ذلك منها ومنه ؟

تاى : نعم ..

تى : ويحها ! ما كان أشد تحامل قلبى عليها
لقد كنت أحسبها تتصرف فى ابنى
تصرف من لا يرد له أمرٌ أو مشيئة .

تاى : كلا يا مولاتى .. كل ما كان من أمرها
أنه يستطلع عينيْها كلما غُم أمرٌ عليه
فتبدو له فيهما أشياء غريبة ،
وهى المسكينة لا تدرى منها شيئا

تى : عجبا ياتاى غدوت اليوم أميل إليها
ويعطف قلبى عليها وأشعر أنى وإياها
متفاهمتان نسير إلى غرض واحد

تاى : وهى يا مولاتى أضحت أيضا تميل إليك !
كم ودتُ لو أنك كنت هنا مثلما فى طيبة
سيدة القصر حتى تُربى أولادها
هى فى راحة وسلام .

تى : إن هـذا نـفس شعـورى بطيبـة
أن تتـولى الـقصر هنـاك فتكفينـى
أمره لأثـوب إلى نـفسى فى آخـر أيامـى .
ما أخطر أطماعنا فى هذى الحياة الغرور
إذا ما قضينا لُباناتنا منها !

ما أتفه فى الدنيا أسباب خصوماتنا
وعداواتنا حينما تمضى ياتاى !
(تدخل نفرتيتى)

نفرتيتى : اعذرينى يا مولاتى إن أبطأتُ عليك
فإن الطفلة ما هدأت إلا الآن

تى : يا ابنتى كان الرب فى عونك .
إنى لأرق لحالك أن ترزحى هكذا
تحت هذا العبء وما زلت فى ريعان صباك .
ليتنى أستطيع المقام هنا فأعينك !

نفرتيتى : شكرا يا مولاتى لجميل شعورك !
لم يضق ذرعى ببناتى الصغار فإنى
أهواهن وأسعدُ بالجهد فيهن ،
وأبوهن يرعاهن بحب شديد
وهو بهن قرير العين سعيد —
ولو أنى أتمنى لو آتى بشقيق لهن

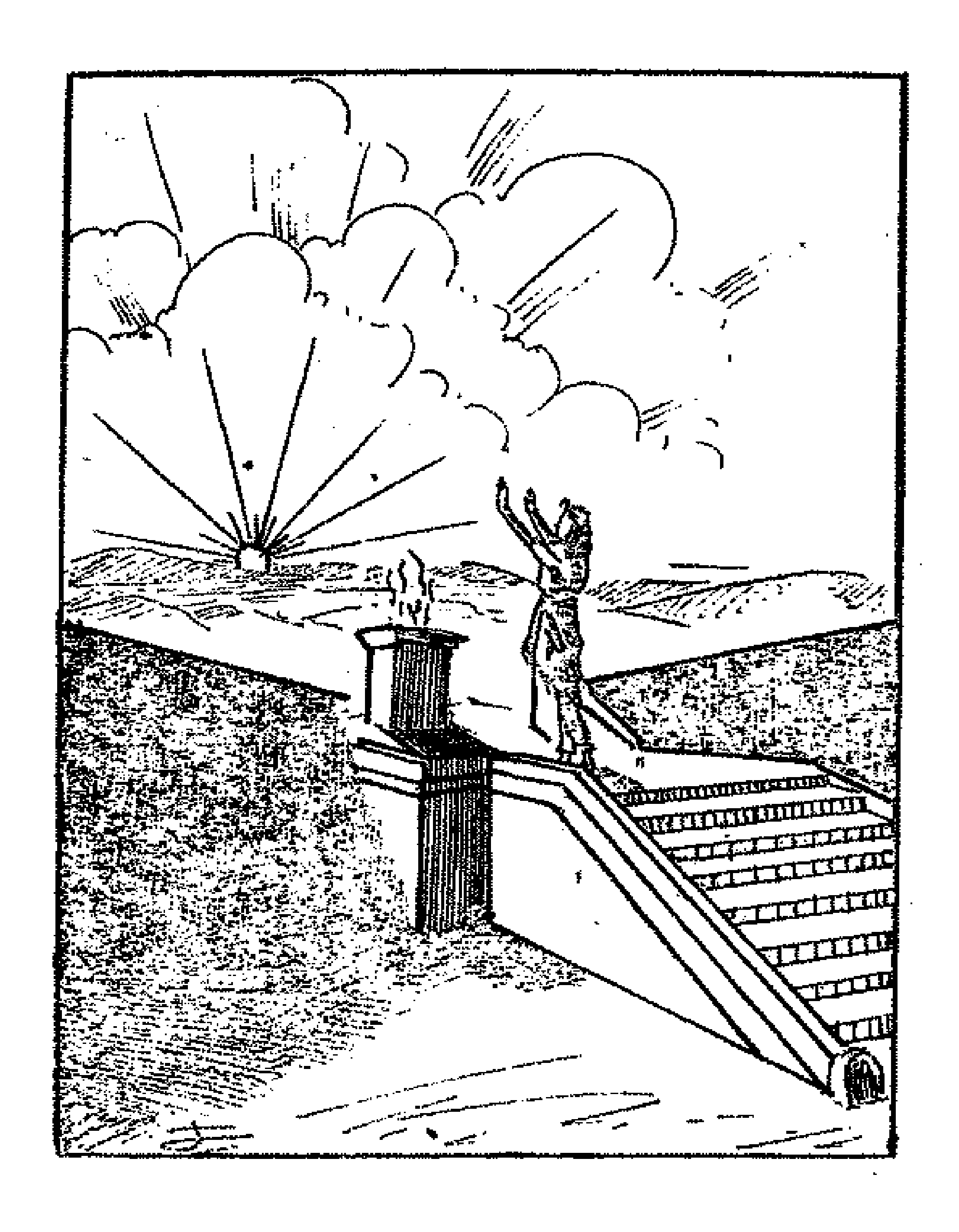
تى : سيجىء الشقيق قريبا بإذن الرب .

نفرتيتى : إنما همى من أجل حبيبى إخناتون
فإنى أخاف عليه السوء لإجهاده
نفسه دون أن يهتم بصحته أو يرحم جسمه ،
نَهِرٌ ليلَى وصحته تضمحل على الأيام .
لا يقر له بالنهار قرار

ولا يطمئن له جنبٌ فى الليل .
هو يا مولاى خلقٌ غريب
ليس له فى الناس ضريب ،
يهتم بأشياء لا تهم النّاس
ويحقر ما يهتم به الناس .
تأتيه رسائل عماله فى ممالكه بالشام
يريدون نجدته ضد الثائرين العصاة
وضد الحثيين العُتاة الذين علا
شأنهم وغدوا خطرًا يتهدد أملاكه .
فيرد إليهم رسائل ينصحهم فيها
بلزوم السلم وينذرهم أخطار الحرب وسخط الرب .
وتجيء رسائل أخرى فيُهملها من دون جواب .
يقضى الساعات الطوال بدار الضيافة
عند صحابته العلماء الذين دعاهم من الآفاق
يباحثهم فى أديانهم وعقائدهم .
أمم شتى من بلاد الهند وأرض الصين
ومن أرض عاد وإثيوبيا وبلاد البُنْط
ومن ليبيا وكريد وقبرص والغرب الأقصى
هؤلاء صحابته لا يصبر عنهم بياض نهار .
ولقد يأتينى مكدوداً فأحاول ترفيهه
بالزهر أؤلفه طاقة وأقدمها له ،

فيكون له الزهر شغلاً جديداً يتعب فيه . :
يتأمله جاهدًا جُهده ويحدثنى
عن لطيف المعانى فيه وتسبيحه للإله —
لكل فصيلٍ من الزهر تسبيحٌ وصلاه !
فالورد يقول كذا والشقيق يقول كذا
والنرجس والفل والدِفْلَى والبهار .
ولقد يأتينى أحيانًا فيصوّب عينيْه
فى عينىّ مليًّا فى صمت وسكون
فأحسب أن به مسًا من جنون .
يأبى إلا أن يُوقظَنى إذ يقوم
من الليل والناس غافون ملء الجفون ،
فأرافقه فى نزهته القمريّة فى الصحراء
وفى الروض أحيانًا وعلى شاطىء النيل أحيانا
ما إنْ أستطيع له عصيانًا —
على رغبتى واعتزامى عصْيانه .
وتكون الطفلة أحيانا فى ذراعىَ
باكية فأراجعه فى الخروج ، فيأبى
ويحملها معه ويرود بها أثناء الروض
يغنى لها ويناغيها لا يخاف عليها
هواء الليل ولا مس الزمهرير .

قى : هل يتبعه حُراس يرعَوْنه ؟



نفرتيتى : لا شيء أشقُّ على قلبه منهم إذ يرى
أن هذى المدينة أرضٌ حرامٌ
ليس بها إلا أمنٌ وسلام
(يسمع قرع على الباب وتدخل وصيفة تقترب من نفرتيتى وتسارها بحديث)

نفرتيتى : بالباب أبى والوزير وماى وحور محب
جاءوا للسلام عليك فهل تأذنين لهم

تى : مرحبًا فليُؤذن لهم !

نفرتيتى : **(للوصيفة)** أدخليهم
(تخرج الوصيفة)

تى : جاءوا فى الوقت المناسب حقًا ..

نفرتيتى : أجل جاءوا فى الوقت المناسب .
(لتاى) يا تاى انظرى على الطفلة استيقظتْ
(تنهض المربية تاى وتخرج)
(يدخل آى والوزير نخت والقائد حور محب وأمين القصر ماى)

تى : مرحبًا مرحبًا برجال النُّبل !
(يركعون)

آى : أهلا بك يا مولاتى لقد شرّفت أخيتاتون !

نخت : مرحبًا بك يا مولاتى وسهلا !

حور محب : أهلا بمليكتنا الكبرى !

ماى : ألف أهلٍ بأم المليك !

تى : شكرًا لكم أيها الأصدقاء استريحوا

(تشير عليهم بالقعود)

(يقعدون إلا حور محب فيبقى واقفا)

اقْعُد ! لِمَ لَمْ تقعُد يا فتى ؟

حور محب : أدب الجندى الوقوف أمام ملوكه .

هل تأذن لى مولاتى أن أرعى أدبى ؟

تى : رعيًا لك من جندىّ شهم !

جئتم فى الوقت المناسب يا أصدقاء .

نخت : هل لنا أن نقول لمولاتنا أيضا إنها

جاءت فى أوفق حين ..

آى : وأبرك ساعة .

نخت : جئنا أولاً للسلام على أم إخناتون ،

ولنرجوها ثانيا أن تنصح مولانا

بالتفكير فى مستقبل مصر وَأملاكه الواسعة ،

فقرون الثورة فى سوريا طالعة ،

واستفحل أمر الحثيين وصاروا يكتسحون

ممالك أحلافنا دون أن يخشوا بأسنا

أو يرعَوا لنا حرمة وكرامة .

واضمحلت هيبةُ فرعون فى سوريا

واستنسر فيها كل بُغاث ،

واستيأس عُمالنا من نجدتنا والغياث ،
وانضم فريق من الأمراء إلى الأسد الحِثى
يَرجون رحمته ويخافون من بأسه .
والخائن أوزيسرُو يُغريه بنا سرًا
لا غتصاب ممالكنا ، بينما يتظاهر بالإخلاص لنا
زاعمًا أنه واقفٌ ضد الأسد الحيثى العتيد .
وبداخل مصر — بطيبةَ نارٌ إذا لم نُعجلْ
بإطفائها فى موقدها أوشكت تمتد لهيبا
إلى سائر الأطراف فتتركها كُومًا من رماد !

تى : تعنى الكُهان ومَن أغروه من القُوّاد .
ما قلت خلاف الحق .. فما الرأى يا أصدقاء ؟

نخت : (يشير إلى حور محب)
رأينا أن نبعث هذا الفتى بالجند إلى
سُوريا فيُعيد الأمن بها لنصابه ،
وبذلك يقطع ألسنة الكُهان اللئام
الذين سيتّخذون ضياع سيادتنا بالشام
سبيلا إلى النيل من مولاى لدى شَعب مصر
ودعوته للخروج عليه .
فانصحى ابنك يا مولاتى انصحيه وأوصيه
بالإصغاء إلى ما نُشير ولما يزلْ فى الأمر سعة ،
عَلَّ مولانا حين يسمع رأيك أن يتبعه .

(يدخل إخناتون)

(يقوم الوزير وآى وماى)

إخناتون : لا تقوموا لى .. ابقَوا مثلما أنتم !

(يتقدم إليهم ويصافحهم وهم قعود ثم يصافح حور محب)

ما لهذا الفتى واقفًا ؟ اقعُد يا أخى

حور محب : شكراً مولاى ...

أدبُ الجندىّ الوقوفُ أمام مليكه !

إخناتون : ما كان لجندى أن يعصىَ أمرَ مليكه !

اقعُد .. لا تسمِعنى هذا القول بعد اليوم !

حور محب : (**يقعد**) سمعًا مولاى وطاعة .

إخناتون : أهلا بالإخوة .. جئتم هنا للسلام على أمى .

(يلتفت إلى تى)

أرأيت ابتهاجَ المدينة أجمعِها بقدومك يا أماه .

تى : لكنى لم أبتهج يا بنى .

إخناتون : لم تبتهجى .. فيم يا أماه ؟

ألم تعجبك أخيتاتون ؟

تى : بلىَ يا بنى ولكنى أخشى ..

إخناتون : تخشَين هنا ؟ ماذا تخشَين ؟

تى : ضياعَ مما لكنا بالشام .

إخناتون : ضياع مما لكنا بالشام ؟ وكيف تَضيع ؟

تى : إن الأمراء بها خرجوا عن طاعة مصر ..

إخناتون : أجَل خرجوا عن طاعة مصر الظالمة الباغية —
خرجوا عن طاعة مصر أمون
و لم يخرجوا عن طاعة مصر أتون
إنى قد بعثتُ الرسل إليها وشدتُ المعابد
فيها لدين الحب ودين السلام .
وغدًا يُوْدى بغُل ذو الانتقام ، وتيشوب السفاك ،
ويُقْضَى على عشتار الغَضوب .
وَيبيد بمصر فتاحُ ومين ورع وأمون
ويقضى الآلهة الآخرون ولا يبقى
إلا ربٌ واحد يدعوه الورى أجمعون —
الرب الكريم الرحيم العطوف الرءوف الحنون
الذى جعل الحبَّ أسا تقوم عليه السماوات والأرضون
ذلك اليوم الحق لا ريب فيه وإن كرِه المبطلون !
يوم لا يبغى المصرى على السورى ، ولا
يُزهى المصرى على النوبى ، وتُلغى الحرب الزبون
يوم يغدو الناس جميعًا وهم إخوة آمنون .

تى : يا نخت أجِب عنى مولاك

(يعتدل نخت فى مجلسه)

نخت : هل يأذن لى مولاى ؟

إخناتون : تكلم يا نخت .. قُل .

نخت : والحيثيوُّن ؟

إخناتون : وما للحيثيين ؟
نخت : ألم يفتكوا بالأشوريين ؟
إخناتون : يبغى الظالمون على الظالمين ..
نخت : وأغاروا على أحلاف المصريين
وساموا الناس العذاب المُهين
وما كانوا باغين ولا عادين
أفليس علينا نُصرتهم وحمايتهم
إذ أتونا مستنجدين ومستنصرين ؟
ماذا صانع مولاى بهم ؟
إخناتون : الربُّ سيحمى وينصر أبناءه الصالحين .
يغفر الرب للحثيين أن كانوا جاهلين
سوف تأتيهم رسُلى فيكفون عن بغيهم
عندما يؤمنون بهذا الدين ، كما كفّت
مصرُ عن بغيها حينما شع فيها النور المبين !
نخت : عىَّ يا مولاى بيانى دون بيانك
إخناتون : ليس هذا بيانى ولكن بيان الحق !
تى : آه ! لو كنتَ اليوم حيًا يا راموس !
إذن لاستطعتَ حِجاج ابنى .
إخناتون : يرحم الرب راموس يا أماه !
إن كان لشيخًا فصيح اللسان قوى البيان
ولكن الحق أفصح منه لسانًا !

حور محب : هل يأذن مولاى لى فى الكلام ؟
إخناتون : تكلم ..
تى : قل يا فتى بارك الرب فيك !
إخناتون : (يلتفت إلى أمه)
وبارك فى ابنك !
حور محب : مولاى أليس يحبُّ إلهك أن يقوى
دينه ويعم الأرض !؟
إخناتون : بلى ولتحقيق هذا وقفتُ حياتى .
حور محب : لكن السبيل الذى أنت سالكه مفض
لا ريب لفقد ممالكنا وسقوط الدين معًا
فنكون غدًا لا دين الرب نشرْنا ولا
سلطان البلاد حفِظنا
إخناتون : هذا والرب كلامٌ حكيم
حور محب : شكرًا مولاى العظيم !
ليست هذى حكمتى بل حكمة سيفى !
(يضع يمناه على قبضة سيفه)
إخناتون : ماذا تدعونى حكمةُ سيفك أن أعمل ؟
حور محب : مُرْنى أذهب بخميسى إلى سوريا
فأؤدِّبَ فيها الطُغاة وأنجد فيها الولاة
وأصلح فيها الأمور وأمنع عنها الحيثين
وأضرب سدًا منيعًا دون إغاراتهم

يقبعون به فى دارهم الأولى أبدًا ،
ثم أرسل رسلك فى إثرى ليبثوا فيهم
تعاليمك العُليا يدخلوا فى دينك أفواجًا

إخناتون : ليس فى دين الرب إكراه يا حور محب

حور محب : بالحجة والبرهان ؟

إخناتون : أجل بالحجة والبرهان .

حور محب : حتى هذا يا مولاى لن يتحقق إلا
بحفظ الأمن ، ولن يتسنى حِفظ الأمن
بغير الضرب على أيدى العابثين !

إخناتون : كيف أدعو لدين الحب ودين السلام
وأُعْمل سيفى فيهم ؟

حور محب : هل نهاك الرب عن الحرب يا مولاى ؟

إخناتون : بل دعانى إلى السِّلم والحب

حور محب : لكن هل تلقيت أمرًا صريحًا منه بترك القتال ؟

إخناتون : كلا .. لكن تقتضى دعوةُ السِّلم والحب تركَ القتال ؟

حور محب : يبدو لى أن إلهك لم يقصد هذا يا مولاى

إخناتون : أنا أعرَفُ منك بقصد إلهى يا هذا !

حور محب : لا أعارض مولاى فى أنه أدرى بمقاصد ربه ،
بيْد أنى أرى أن خالق هذا الورى أحجى
أن يأمر يومًا بما لا يمكن تحقيقه .

إخناتون : أاعتراضًا على حكمة الرب يا حور محب ؟

حور محب : لا اعتراض على حكمة الرب يا مولاى .
غير أنى أرتاب فى فهمنا حكمته !

إخناتون : أنت ذو أدب جم وشعور رقيق .
أتريد القول بأنى فى فهم حكمته أخطأت ؟

حور محب : عفوًا يا مولاى ..

إخناتون : كن صريحًا معى أبدًا فالصراحة فى القول
ترضى الرسول وإن تُغضب فرعون .

حور محب : لكنك فرعون مصر وعاهلُها الأعلى
من قبلِ تكون رسولَ أتون

إخناتون : آه ! لو تصفو لى رسالةُ ربى
وأعتق من فرعونيتى !

حور محب : مولاى لعل الرب اصطفى فرعونَ
رسولاً له أنْ كان أخا سُلطانٍ .
يمكنه أن ينشر فى الأرض دينه

إخناتون : ما فتئتَ تُغنِّى بلحنك يا حور محب !
بل كان اصطفانى رسولا له
ليرى الناس بينهمو فرعونًا أخا سلطان
يعف عن الحرب والبغى والعُدوان
ويدعو إلى السلم والحب والإحسان
(يدخل ماهو كبير الشرطة)
ما هو ! ما وراءك يا ماهو ؟

ماهو : مولاى ! على الباب وفدٌ من الكهان .
يريدون رؤية مولاى

إخناتون : وفد من الكهان .. أتعرف مَنْ هُم ؟

ما هو : فيهم عمداء أمون ورع وفتاح وكهّان آخرون —

نفرتيتى : عمداء أمون ورع وفتاح ؟
ماذا يبغون ؟

حور محب : آه .. ياليت مولاى قبل مسيرى إلى الشام
يأذن لى أن أحكّم سيفى فى هؤلاء اللئام !
مولاى انظر كيف اتحدوا بعد إذ كانوا
أعداء يلعن بعضهم بعضًا
ليكونوا إلبًا على فرعون ويغروا
مصر بعصيانه والخروج عليه !

إخناتون : دَعك من هذا .. علهم جاءوا مؤمنين بدين أتون
(**يرفع بصره إلى السماء**)
يا رب اهدهم يُهد خلق كثير !
(**لماهو**) أوصِلهم لبهو الضيوف .. سآتيهم .

نفرتيتى : لا تذهب إليهم وحدك يا زوجى .. إنهم
جاءوا لا ريب لسُوء !

ماهو : لا خوفَ على سيدى ، سأفتشهم قبل أن يدخلوا .

نفرتيتى : كلا .. لا تذهبْ هناك ,

ق : إذًا فليأتوا هنا خيرًا لنراهم ونسمعَ أقوالهم
(إخناتون

إخناتون : حسنًا .. أدخلهم هنا !

(يخرج ماهو)

آى : ما جاء بهم ليت شعرى ؟

تى : علهم جاءوا يرجونك ألا تصادر أوقافهم

آى : أو ألا تمس معابدَهم يا مولاى .

إخناتون : لن يمس الدهرَ معابدهم منا أىُّ سوء ،
أما الأوقاف فمحبوسة للعبادة
وهى حرام لغير الرب الحق أتون

آى : هاهم أقبلوا ..

(يدخل الكهنة يتقدمهم عميد أمون)

عميد أمون : **(يصافح إخناتون)**
صلوات أمون على فرعون !

عميد فتاح : **(يصافح إخناتون)**
صلوات فتاحَ على فرعون !

عميد رع : **(يصافح إخناتون)**
على فرعون تحيات رع !

عميد أمون : وتحياتُ سائر أرباب مصر !

إخناتون : حسبى صلوات أتونَ الحق !

(يشير عليهم بالقعود)
استريحوا يا أصدقاء ...

(يأخذ الكهنة مقاعدهم)

عميد أمون : (يلتفت إلى الملكة تى)
ازدانت أخيتاتون بمولاتى الكبرى
لكن عَطِلَت من زوجة أمنوفيس مدينةُ أمنوفيس
إخناتون : لا تدعُ أبى عندى باسم أمنوفيس !
عميد أمون : بمَ أدعوه يا مولاى ؟
إخناتون : ادعه نهار .
تى : دعه يدع أباك مما كان يُدعى به فى حياته
كيف يا ولدى ننسى اسم أمينوفيس ؟
إخناتون : سيَسُرُّ أبى فى مرقده أن ليس
يضاف اسمُه لإله باطل .
عميد أمون : إنى آسفٌ أن أزعجت مولاى باسم أبيه
إخناتون : سمِّه نهار إذا ما أنت ابتغيت سرورى
ليس اسم أبى أمنوفيس بل اسم أبى نهار
عميد أمون : طاعةً لك يا مولاى
إخناتون : أهلا بكم يا رفاقُ لقد شرفتم أخيتاتون
عميد أمون : شكرًا لك يا مولاى .. لحقا أنت رفيق
لنا إذ شاركتنا فى مهنتنا السامية
وتزيد علينا بفرعونيتك العالية !
إخناتون : ما زاد عليكم أخوكم بفرعونيته بل بدينه ،
إذ تخذتم دينكم مهنة تكسبون بها رزقكم
لا تبالون من بعده هُدىَ الناسُ أو ضلوا !

يا أضياف هل لكم حاجاتٌ فتقضى لكم ؟
هل أستطيع خدمتكم ؟

عميد أمون : هل حاجاتنا عند مولاى مقضية ؟

إخناتون : لا شكَّ — إذا لم تخالف إرادةَ ربى !

عميد أمون : إنَّا جئنا من شتى أنحاء مملكة الشمس
راجين مولانا عفوه عنا ورضاه .
اردد أوقاف أمون إلينا ولا تمسسْ
أوقاف الآلهة الآخرين ،
وتطوّل علينا نكُنْ لنداك من الشاكرين

إخناتون : اطلبوا من مالى ماشئتم أعطكم
أما ما ليس بملكى فلا !
تلك أموالٌ للعبادة وهى حرام
لغير الرب الحق أتون .

عميد أمون : إنها أموالُ أمون ، وكهَّانه القيمون عليها .

إخناتون : لا وجودَ اليوم لشىء يسمَّى أمون !

عميد أمون : هو ربُّ أبيك وجدِّك من قبله وأبيه
وأسلافك الأولين الغُرِّ الميامين
أبناء الشمس الأكرمين !

إخناتون : ما رع وفتاحٌ إذن ؟

عميد أمون : إن رعَ وفتاحَ لربَّان من أرباب البلاد .

إخناتون : أى هذى الأرباب أنشأ هذى البلاد وأوجدكم ؟

عميد أمون : سيِّد الأرباب أمون .

إخناتون : لا وجود لرع وفتاحَ إذن

عميد فتاح : كلا يا مولاى بل سيد الأرباب فتاح !

إخناتون : فلتكن أوقافُ أمونَ ورعْ لفتاح !

عميد رع : كلا بل سيدها رع يا مولاى !

إخناتون : فلتصر كل الأوقاف لرع !

عميد رع : بارك الرب فيك ! لقد قلت الحق يا مولاى
إن رع رب مصر القديم وليس أمون سوى غاصب حقه

عميد أمون : اصمت يا وغد !

عميد رع : لأنت الوغد !

إخناتون : (باسما) فيم تختصمون الآن وقد جئتمونى متحدين !

عميد أمون : أنت فرقت يا سيدى بيننا .

إخناتون : كلا .. بل أهواؤكم ومطامعكم فرقت بينكم .
ليس همكمُ ربًا تعبدون ولا قومًا تهدون
ولكنه جاهٌ تطلبون وأموال تجمعون !
تعدون الناس ببغضائكم وعداواتكم
وتجدّون ما بينهم من أرحام وصلات
بأسماء أربابكم هذى والغنم لكم .
والغرم عليهم !
ما أمون ورع وفتاح وتلك الآلهة الأخرى
إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم

ما أنزل ربى بها من سلطان
تبتغون بها عرض الدنيا ومتاع الغرور ،
وتحولون بين الرب الكريم وبين عباده .
تزعمون لهم أنه لا يقبلهم إلا بوساطتكم ،
أو يرحمهم إلا بشفاعتكم ، كذبًا واجتراء عليه

عميد أمون : ما بال الرب الجديد أتون ؟ أيقصد مولاى
توسيع هذى الفرقة باسم جديد ؟

إخناتون : كلا. ليس ذا ما أريد كما أنتم تعلمون
ولكن سأجمعكم باسم واحد تدعون
به ربكم وتكونون إخوانا أصفياء
يؤلف بينكم الحب والرحمى والسلام ،
وأعلم هذا الورى طرًا أنه
ليس بين الرب وبينهمو من حجاب
وأؤذن فيهم بأن فقيرهم والغنى
وأن وضيعهم والحسيب أمام الرب سواء

عميد أمون : عجبًا ! أيكون ابن الفلاح إذن
فى منزلة ابن حسيب مثلى يا مولاى ؟

ماى : أتعرض بى يا شيخ أمون ؟
قد يكون ابن الفلاح أعز من ابنك يا كاهن !

عميد أمون : اعلم من تخاطب يا هذا الفلاح الوضيع !

ماى : لعنات الرب على رأسك !

أجهلت بأنك يا مأفون

فى عصر العائش فى الحق إخناتون :

الناسُ سواء ، فيه على رغم أنف أبيك ؟

إخناتون : مه مه ! لا تكن لعانًا يا هذا .

ما كان لأتباع هذا الدين

أن يكونوا سبابين ولا فاحشين

عميد أمون : أيسرك يا مولاى تطاول هذا الكلب على ؟

إخناتون : لم يقل شيئًا لم تقل مثله أو أعظم منه .

قد يكون ابن الفلاح أعز من ابنك

هذا حق لا ريب فيه

ما سبك للفلاح ؟ أليس الفلاح إنسانًا مثلك ؟

عميد أمون : الفلاح إنسان مثلى ؟

إخناتون : بل أنفع للناس من كاهن مثلك

عميد أمون : بل من فرعون مثلك يا مولاى ! ..

حور محب : (**يسل سيفه**)

اصمت يا كلب وإلا أغمدت هذا فى صدرك !

إخناتون : دعه يا صاحبى .. إنه لم يقل إلا حقًا !

قد يكون الفلاح أنفع للناس من فرعون !

عميد أمون : اسخر ما شئت !

إخناتون : كلا .. إنى ما أسخر .. هذا عين الحق

عميد أمون : (**ينهض**) هيا يا رفاق بنا هيا نبرح

هذا القصر المغضوب على أهله وعليه

(ينهض سائر الكهنة)

وجلال أمون ومين ورع وفتاح

وآلهة الوادى لنثيرنها شعواء عليك ،

ونشبّن مصر عليك من الشلال إلى

طرف الوادى نارًا تطويك وتطوى

أخيتاتون ورب أخيتاتون معك !

حور محب : أتهدد مولاى يا كاهن السوء أنت ؟

دعنى مولاى أرو صدى سيفى بدمه !

إخناتون : دعك من هذا يا فتى .. لا تخف

يا عميد أمون فإنى معك !

عميد أمون : احم من هم أحوج منى إليك

احم ملكك فى سوريا من عداك

واحم نفسك من لعنة الأرباب غدًا إن قدرت ؟

حور محب : لم يدع هذا الوغد لى منزعا فى قوس الصبر .

غفرًا مولاى سأعصيك يا سيدى مرة فى العمر !

(يسل سيفه ويتقدم لضرب عميد أمون)

عميد أمون : واغوثاه ..

حور محب : خذها يا وغد ..

(يثب إخناتون من على عرشه ويقف دون عميد أمون)

نفرتيتى : واحبيباه !

تى : واولداه ! .

لا تخف يا شيخ أمون فإنى معك !

(يهجم ماهو فى لمحة البرق فيمسك ذراع حور محب من خلفه)

حور محب : صوت مولاى .. هذا مولاى فرعون . يا للهول !

ثكلتنى أمى !

(يكسر سيفه على ركبته)

تحطم يا سيفى ! .. شلت يمناى ! ..

غفرًا مولاى لعبدك .. نفسى فداؤك يا مولاى

(يخر على وجهه مقبلا قدمى إخناتون ويحاول إخناتون إنهاضه)

(ستار)

الفصل الرابع

الاحتضار

المنظر الخامس

(جانب من القصر الملكي بأخيتاتون (مدينة الأفق) يظهر فيه إلى جهة اليسار غرفة متوسطة أمامها رواق يتصل بها بواسطة باب ينفتح ويغلق بسحب مصراعيه إلى جانبيه بحيث يرى النظارة الغرفة لدى فتح الباب . وإلى اليمين بهو كبير يصله بالغرفة باب صغير . يرى إخناتون على سرير مرضه فى الغرفة مستغرقا فى سبات عميق وعنده الملكة نفرتيتى واقفة على مقربة منه والمربية تاى جالسة على مقعد ـــ يبدو عليهما الحزن الشديد .)

نفرتيتى : (تنهض) إنه نام ياتاى هيا بنا نخرج من هنا

تاى : سأظل هنا علّه يستيقظ يطلب شيئاً .

نفرتيتى : بل قومى معى فلدىَّ حديثٌ لك ،
سنكون قريبًا منه نحس به حين يصحو
(تخرجان من الرواق)

تاى : مسكين مولاى ! منذ ثلاثة أيام
لم يُذقْ شيئًا .. ياربِّ اشفِه ياربِّ !

نفرتيتى : ما أحسبه عائشًا حتى الغد ياتاى .

ما رأيت الطبيب صباحًا كيف أراد سدى
أن يخفى عنا اليأس البادى فى وجهه ؟
إنه لن يشهد نور الشمس غدًا يا تاى !
(تبكى)

تاى : لا تبتئسى يا بنية إن الربَّ سَيشفْيه .

نفرتيتى : وسيشفينى معه يا تاى فَنَسْلو هموم الحياة .
هلا تَعِدين بأن تُعنَىْ ببناتىَ من بعدى
وتكونى أمًّالهن كما كنت أمًّا لى .

تاى : ماذا تعنين بهذا ؟ ستبقين أنت لهن .

نفرتيتى : أتخالينى أبقى يومًا واحدًا بعد إخناتون ؟
(تخرج كيسًا من جيبها)
انظرى ، هذا سوف يُلحِقُنى بحبيبى فى يومه .
لن أتركه يمضى وحده أبدًا ياتاى .

تاى : ما هذا ويلك ما هذا ؟

نفرتيتى : هذا الترياق الذى سيُقَصِّر أو جاعى

تاى : سُم ؟ كلا يا بنيَّة هذا أمرٌ مَهُول !

نفرتيتى : بل بقائِى من بعده أهول .
أتخلى عنه لها ؟ كلا كلا لست مجنونة .
لن أتركها تستقبله قبلى فى السماء !

تاى : تستقبله قبلك .. من ذا تعنين ؟

نفرتيتى : تلك الشقراء التى كانت تُدْعَى تادو .

تاى : تادو ؟ ما تزالينَ غيرَى من تادو ؟
يا للغيرة الحمقاء تغارين من طفلةٍ
ماتت لم تجز سن إحدى بناتك .

نفرتيتى : طفلة لم تَجز سنَّ إحدى بناتى !
هى خيرٌ منى إذن هى أصغر منى سنًا
صَدَقْتِ : تريدين أنى عجوز وهى صغيرة !

تاى : كلا يا بنية لم أقصد هذا
ما يجعل ظنك يرمى هذا المرمى البعيد ؟

نفرتيتى : طفلة لم تجز سن إحدى بناتى !

تاى : خلى وسواسك يا هذى إنها بعدُ أكبر
سنًّا منك ألم تتزّوج من قبلك ؟

نفرتيتى : قبلى ! حقًا كانت زوجه قبلى ، كان صاحبها
قبلى ! هى أولى بهذا الزوج إذن منى
لا لا .. سأرافقه سأموت معه !
لا أتركها تستقبله قبلى فى السماء .

تاى : هذا والرب جنون منك !

نفرتيتى : جنون منى ! أعقل منى عندك أن
أتخلى عنه لها ؟

تاى : إن إخناتون يحبك حب الحياة .

نفرتيتى : هذا ما يزيد شقائى به .
أنا لم أحبب غيره وهو قد عرف الحب قبلى .



تاى : إنه قد أنسيها منذ عهد بعيد

نفرتيتى : سيعود إلى حبها حين يلقاها —
حين يلقاها فى الفردوس الأعلى
فتعانقه ويعانقها مشتاقا إليها
عِناقَ الحبيبين بعد الفراق الطويل .
وأنا البلهاء أظلُّ هنا فى هذا السجن البغيض
إنه كان يعشقها قبلى فسلاها بى
إذ حضرت لديه وغابت عن عينيه
وما كان يعرفنى قبل ذلك .
فَحَرٍ أن يسلونى حين يلقاها فى
غيابى وقد كان يعرفها قبلى .

(تسمع حركة إخناتون وصوته من الداخل

الصوت : يا له من حُلْم فظيع ! يا للهول .

(تفتحان الباب وتدخلان)

تاى : ماذا بك يا مولاى ؟

(يجلس إخناتون على سريره ويمسح جبينه

نفرتيتى : ماذا بك يا روحى ؟

إخناتون : بل ما بكِ أنتِ ؟ تريدين أن تقتلى نفسك !

نفرتيتى : ويلى ! كنت تسمعنى

إخناتون : بل رأيتُكِ ... ماذا تريدين أن تفعلى ؟ قولى

نفرتيتى : لا شيءَ يا زوجى .. يا حبيبى لا شىء ..

(تبكى)

إخناتون : بل شيئًا مهُولاً .. تريدين أن تقتلى نفسك !

(بحنو) فيم يا تيتى ؟

نفرتيتى : لأموت وإياكَ يا زوجى .

إخناتون : وبنياتُنا ؟

نفرتيتى : الربُّ لهنَّ .

إخناتون : وزوجك إخناتون ؟

نفرتيتى : أموت معه .

إخناتون : أتريدين أن لا يراك إلى أبد الآبدين ؟

نفرتيتى : كلا بل أصحبه أبد الآبدين ؟

إخناتون : فلتعيشى إذن حتى يأذن الرب لك .

نفرتيتى : كيف أحيا بعدك إخناتون ؟

إخناتون : اصبرى لتعيشى فى الفردوس معى .

نفرتيتى : لا طاقة لى بالصبر ..

إخناتون : إلهى ! أضاعت يدى كل شىء فيك

ألا تبقى لى نفرتيتى سلواى ؟

ماذا بجِنانك أصنع يا ربى

إن لم أر فيها وجه نفرتيتى ؟

نفرتيتى : سترى فيها وجهها !

إخناتون : وجه من ؟

نفرتيتى : وجه هاتيك !

إخناتون : من هى ؟

نفرتيتى : لا أدرى !

تاى : تعنى وجه المرحومة تادو يا مولاى .

إخناتون : (**يضحك**) تادو ! أتغارين من تادو ؟ أتغارين من نفسك ؟

نفرتيتى : اضحك .. أنت ماض إليها لتلقاها ولتنسانى !

إخناتون : كيف ألقى تادو ولا ألقى تيتى ؟
كيف أنسى تيتى ولا أنسى تادو ؟
أنت تادو وتادو أنت !

نفرتيتى : أنا تادو ! لا يا نفرتيتى أين أنت إذنْ ؟
أنا تادو ! لا لست إيّاها .. لا أريد

إخناتون : أتريدين ألا تكونى نفرتيتى زوج إخناتون ؟

نفرتيتى : كيف هذا ؟ ألست نفرتيتى زوجك ؟

إخناتون : يا نورَ العين بلى !

نفرتيتى : فعلام إذنْ تدعونىَ تادو ؟ .

إخناتون : لأنكما شيءٌ واحد !
ليسَتْ تادو إلا صورةً من حسن نفرتيتى
ليستْ تادو إلا رجْعة من لحن نفرتيتى
ليست تادو إلا لمحة من نور
ليستْ تادو إلا طيفًا من خيالك !

نفرتيتى : كلا .. لا أصدق هذا منك .. تريد الذهابَ
إليها فى الفردوس لتتركنى وحدى

فى هذا السجن المَقيت !

إخناتون : أتُكذب زوج الرّسول الرسول ؟
أتريدين برهانًا ؟

نفرتيتى : برهانًا على أنى تادو
أرَجَعْت تُصدق حيلة كاهن رعْ ؟

إخناتون : بَطَلَت حيَلُ الكهان وتمتْ معجزة الرب يا تيتى !
بعث الربّ لى فيك حبى فقام
من القبر ينفُض عنه التراب !

نفرتيتى : أرنى البرهان ..

إخناتون : على أن تُعْطينى موْثقًا
أن لا تخطرى الانتحار ببالك بعد اليوم ؟

نفرتيتى : قَبِلْت .

إخناتون : هَلمى إذنْ فانظرى فى عينىّ
وانْطلقى من سجن المكان وقيد الزمان
(تقترب نفرتيتى منه وتنظر فى عينيه)
حدقى .. فى عينىّ .. ماذا ترين ؟

نفرتيتى : أرى .. لا أرى يا حبيبى شيئا

إخناتون : انظرى يا روحى أما تُبْصرين سماء فوق سماء
تحت سماء — أما تُبصرين فضاء لا حد له ؟

نفرتيتى : أنت تُرعبنى يا حبيبى ، لست أرى شيئا

إخناتون : ويْح الأنثى ! لا تكون الأنثى قطُ رسولا .

(إخناتون)

يرحم الرب أمي ! لو أن الرسالةَ نالَتْها قط
أنثى لنالتْها أمي ؟
حَسْبُ الأنثى فخرًا أنها تلد المرسلين !
لا بأس سأنظر فى عينيك كدأبي إذن

نفرتيتي : وأرى أنا صورة عيني فى مرآةٍ
أليس كذلك يا زوجي ؟ أبغيني مرآة ياتاى !
(تنطلق تاى لتأتى بمرآة)

إخناتون : كلا لا تأتى بها إنها لن تُغْنى عنا فتيلا
لن يَقْوى الزجاج على أن يحمل عبئًا ثقيلا
تتصدع منه الجبال وتغدو كثيبا مَهيلا
فاجعلى مرآتك عينىّ كى تنعكسا
لك ما أنا راء فى عينيك !
انظرى فى عينى الآن ماذا ترَيْن ؟

نفرتيتي : أرى يا حبيبى فضاء كبيرا ..

إخناتون : ذاك فضاء الوجود

نفرتيتي : وأناسىّ كالطير حُمرًا وخُضرا تسْبح فيه

إخناتون : تلك أشباح الأحياء وأرواح الأموات من النّاس
منذ نشوء الخليقة حتى اليوم .
ماترين الخضر صواعد صوب السماء ؟

نفرتيتي : بلى .

إخناتون : تلك أرواح الموتى

نفرتيتي : والحمْرَ هوابط نحو الأرض .

إخناتون : أجلْ تلك أشباح الأحياء .
هاتلك جموعُهُم تتفرق شيئًا فشيئًا
انظرى للخضر الآن أفيهم من أحد تعرفين ؟
نفرتيتى : أجَلْ هذا مولاى أبوك .. وهاتيك مولاتى ..
إخناتون : أمى .. انظريها تْبسم لى !
نفرتيتى : من ذاك الشيخ الكبير ؟
إخناتون : أما تذكرين وزير أبى راموس ؟
نفرتيتى : وتلك .. وتلك .. وتلك فتاةٌ تُشْبهنى .
إخناتون : هذه تادو .
نفرتيتى : تادو !
إخناتون : انظريها كيف انضمت إلى الأشباح الحمْر !
نفرتيتى : أجَلْ !
إخناتون : أتبيّنت فيهم من أحد تعرفين ؟
نفرتيتى : نعم لم لا ؟ هذا أنت إخناتون
عليك خطوطٌ خُضر ..
إخناتون : لقُرب انطلاقى من قيدى .. وأبوك
أما تُبصرين أباك ؟
نفرتيتى : بلى هذا والدى وبجانبه أنتِ ياتاى
تاى : (لنفسها) آه ياليت آى يرى فى عينىّ شيئًا !
نفرتيتى : هؤلاء بناتى .. نعم هؤلاء بناتى
وهذى .. مَنْ هذى ؟

إخناتون : هذى أنتِ يا تيتى

نفرتيتى : عجبًا هذى أنا حقًا فَمَنْ تلك الخضراء التى خلفى ؟

إخناتون : إنها تادو .

نفرتيتى : ويلَها ! لم تتبعُنى ؟ لم تلزمُنى هكذا ؟

إخناتون : هى ظلك يا تيتى هى رجع صداك ؟
انظرى .. هاهما الشبّحان رويدًا رويدًا
ينحدران إليك !

نفرتيتى : إلىّ ؟ لماذا ؟

إخناتون : لكيما يعودا لمثواهما

نفرتيتى : أين مثواهما ؟

إخناتون : فيك .

نفرتيتى : فىّ ؟ لا يا حبيبى لا إنى خائفة !

إخناتون : لا تخافى — سينسربان انسرابًا فيك
ولا تشعرين بشىء

نفرتيتى : ويلتا ! دعنى أهربْ من هنا

إخناتون : (**يمسك بذراعيها**)
اثبتى لا تخافى من سوء .

نفرتيتى : هاهما واقعان على ! حبيبى أنقذنى !
ياتاى أغيثينى ! ياتاى أغيثينى ! ياللهول !
(**تسقط على الأرض مغشيا عليها**)
(**تسندها تاى وتجلسها**)

إخناتون : قومى لا بأس عليك حياتى

نفرتيتى : (تجلس) ويلتا دخلا فىّ !

إخناتون : مم تخافين يا تيتى ؟ أتخافين من نفسك ؟
ها أنت رأيت بعينيك البرهان فهل صدقت ؟

نفرتيتى : نعم يا حبيبى صدقتُك .

إخناتون : إن تادو فيك تعيش على الأرض لا فى السماء

نفرتيتى : لن أقتُل نفسى بعد اليوم اطمئن حبيبى .

إخناتون : أوّاه ! أحس فتورًا شديدًا بأعضائى
آه ما أقسى ألمى !

(يسقط على سريره)

نفرتيتى : ويلى ! غاب عن ذهنى أن هذا الوحى يهد قُواه .
أنا سبّبت هذا الجهْد له ما أعظم حُمقى !

تاى : ها جاء سمنقارا هذا صوته !

نفرتيتى : ما يحمل هذا الأحمق من نبأ مشئوم ؟
سيخبر إخناتون بخطْب جديد
يُضاعف من دائه ويزيد تباريحه .
واحرّ فؤاداه من هذا المخلوق البليد !
امنعيه الدخول وقولى له إن فرعون نائم

تاى : نائم ؟ هل يحجُب فرعون عن هذا شُغْل أونوم ؟
من يعصمنى من غضبة مولاى إن لم آذن له بالدخول ؟

نفرتيتى : يا ويح مريتاتون ابنتى لم تجد إلا هذا بعلا !

لكن الملوم أبوها إذ اختاره صهرًا
وظهيرًا له فى الملك ، فوا أسفا إن زوجى
سليم النية لا يبلو أقدار الرجال !
غر زوجى منه تظاهره بالعبادة والإخلاص .
(يظهر سمنقارا فى البهو ويجرى وراءه حور محب ممسكًا بتلابيبه)

سمنقارا : دعنى يا هذا أدخل على عمى ما شأنك أنت ؟
حور محب : أنت ماض لتخبرة نبأ الرسل الهاربين
أما تدرى أن هذا سيقتل مولاى غمًّا ؟
أما تدرى أن عمك فى حالة خطرة ؟
أتبشره كل يوم بداهية دهياء ؟
نفرتيتى : ما هذى الضجة ؟ هذا صوت القائد حور محب
سمنقارا : لن أقول له شيئًا دعنى دعنى !
حور محب : أتجىء له بالموت وتسألنى ما شأنى أنا ؟
لا تريم مكانك هذا وحرمة سيفى
سمنقارا : **(يصيح بأعلى صوته)**
عمى ! عمى ! هذا حور محب يمنعنى دونك !
كاد يخنقنى ممسكًا بتلابيبى . عمى ! عمى !
(يتحرك إخناتون وينتبه)
إخناتون : ما هذا الصياح ؟ أهذا صوت سمنقارا ؟
أدخلاه على

سمنقارا : عمى ! عمى !

إخناتون : (**بصوت عال**)

ادخل يا سمنقارا ماذا بك ؟

حور محب : (**يطلق سمنقارا**)

آه لولا طاعة مولاى !

سمنقارا : ما شأنك أنت ؟ ألست ظهيرًا له فى الملك ؟

حور محب : بلى ياليتك تشركه أيضًا فى الموت !

(**بلين**) رفقًا يا هذا بعمك لا تحبره بشىء

سمنقارا : خير لك أن تعنى بفلول رجالك إذ

تركوك وتتركنى وشئونى !

(**يدخل إلى الغرفة**)

سمنقارا : صلوات الرب على عمى ! كيف صحة عمى اليوم ؟

إخناتون : بخير بنى ..

سمنقارا : (**يصافح نفرتيتى**)

سلامًا سيدتى من مريتاتون ومنى —

لا بل منى أولا .. أنا أجدر منها بالتقديم .

هى مشتاقة أن تراك ستأتى اليوم إليك .

انصحيها سيدتى إنها دائمًا غضبى !

(**يصافح تاى**)

وسلامًا أيضًا عليك وإن كان زوجك

يهضمنى قدرى — ذنبه هو لا ذنبك !

إخناتون : ما وراءك يا ولدى هل جد جديد ؟

سمنقارا : خير يا عم لدى حديث جد خطير

نفرتيتى : (لتاى بصوت خافض)

هيا نخرج من هنا قبل أن يأمرانا به

(تخرج نفرتيتى وتاى من الباب على يسار المنظر)

سمنقارا : جاء اليوم رسلك من سوريا هاربين

بأنفسهم بعد هدم معابدهم كلها .

إخناتون : يا للحدث الفاجع ! (صمت قصير)

سمنقارا : ما يأمرنى مولاى لهم ! إنهم فى فقر شديد

إخناتون : ادع لى آبى

سمنقارا : سمعًا مولاى (يخرج من الباب إلى البهو)

لا تزال هنا واقفًا يا صاح ؟

حور محب : نعم لأرى كيف يأسو الطبيب العظيم عليله !

هل سررت الآن بما قدمت له من دواء ؟

سمنقارا : لا تخف لم أذكر لعمى سوء صنيعك بى

حور محب : فيم لم تذكره ؟ إذن لدرى أىّ نكس ضعيف

لا خير فيه أنت !

سمنقارا : اذهب فادع آبى لمولاك !

حور محب : لست المأمور اذهب أنت .. ما هذا من شئونى

(ينطلق سمنقارا ويخرج)

حور محب : (يفتح باب الغرفة)

هل يأذن لى مولاى ؟

إخناتون : من هذا ؟ حور محب .. ادخل يا أخى

(يدخل حور محب)

حور محب : كيف اليوم صحة مولاى ؟

إخناتون : لا تسلنى عن صحتى بل سلنى عن رسلى الهاربين !!

حور محب : طب نفسًا يا ملكى ! سنعيد بناء المعابد
فى سوريا حينما يشفى مولاى

إخناتون : أجل حينما أشفى من داء الحياة !

حور محب : سيطول بقاؤك فى خدمة الحق يا مولاى

إخناتون : الحق وما الحق يا صاحبى ؟ أين يوجد
هذا الحق أفى الأرض أم فى السماء ؟

(يدخل سمنقارا ومعه القهرمان آبى)

أهلا بك يا آبى !

آبى : لا بأس على مولاى شفاك الرب أتون !

إخناتون : أعط الرسل الهاربين مؤونتهم ومؤونة أولادهم .

آبى : أعطيهم ؟ .. من أين يا مولاى ؟

إخناتون : من خزينتنا .. من مال الدولة أو من مالى الخاص .

آبى : إنها أضحت أخلى من كفى يا مولاى !

إخناتون : كيف هذا ؟ أين خراج العام ؟

آبى : خراج العام قليل جدًا يا مولاى .

إخناتون : قليل جدًا .. لماذا ؟

آبى : لأن كثيرًا من الناس لم يدفعوا ما عليهم ...

إخناتون : لماذا ؟

آبى : بتحريض الكهان لهم يا مولاى .

إخناتون : أاستطاع الكهان أن يفعلوا كل هذا ؟

آبى : أجل لانضمام كثير من القواد إليهم يا مولاى.

إخناتون : حتى قوادى خانونى وانضموا لأعدائى !

حور محب : إنى ورجالى الدهر عبيدك يا مولاى !

سمنقارا : ورجالك .. أين رجالك يا هذا ؟
أوَ لم ينفضوا من حولك ؟

إخناتون : انفض رجالك من حولك !

حور محب : سيعودون يا مولاى إذا ما أهبت بهم
وضمنت لهم رزقًا ..

إخناتون : أنى لى هذا و لم أستطع
أن أنفح بضعة أشخاص من خيرة رسلى ؟
حتى قوادى خانونى وانضموا لأعدائى !
حتى أنت يا خير القواد تفرق عنك
رجالك من أجلى !
ادعوا لى ماى أمين القصر !

آبى : لم يعد للقصر أمين يا مولاى فقد ...

حور محب : (**يشير إلى آبى أن اسكت**)
غاب بضعة أيام لزيارة قريته

سيعود قريبًا يا مولاى .

إخناتون : عجبًا فيم لم يستأذنى ؟

سمنقارا : لا تصدقهما يا عم فقد كذباك القول ،
إنه فر أول أمس إلى طيبة .

إخناتون : ما تقول ؟ أهذا صحيح ؟

سمنقارا : عند أعداء دينك يا عماه .

(يشير إلى حور محب وآبى)

دعهما ينكراه إن استطاعا

إخناتون : ما يصنع فى طيبة ؟

سمنقارا : مع توت عنخ أتون ليأتمرا بك يا مولاى وبى

إخناتون : أوَقد فر صهرى توت عنخ أتون معه ؟

سمنقارا : **(لآبى وحور محب)**
أنكراه إن استطعتما أيضًا !
إن توتًا يحسدنى أن آثرتنى بالحق عليه .

إخناتون : حتى صهرى خاننى .. ولدى .. زوج بنتى !

سمنقارا : لا تثق برجالك يا مولاى فهم إما
كذاب أو خوان !

إخناتون : ويلى ! حالم أنا أم يقظان ؟
ابعدوا كلكم عنى ! اتركونى هنا وحدى !
لا أريد أرى منكم وجه إنسان !

سمنقارا : اذهبا أنتما سأظل هنا مع عمى .

(ينصرف حور محب وآبى)

إخناتون : كلا لا تظل هنا اتركني وحدى
اذهبوا عنى لا يبق أحدا !

سمنقارا : لن أترك عمى هنا وحده

إخناتون : يا صهرى يا ولدى يا زوج ابنتى اغرب من عينى !

حور محب : **(يعود فيجر سمنقارا إلى خارج الغرفة)**
تتحداه يا هذا بعد أن أشعلت النار
به ؟ .. لأجرنك جرا !
لأحلنك السجن حتى يزول جنونك !

سمنقارا : دعنى دعنى ! ما شأنك يا كذاب ؟

حور محب : لا أخلى سبيلك حتى تعلمنى
من صدقك يا صادق القول !

(يجره حور محب حتى يخرج به من البهو)

إخناتون : ما هذى النار التى تتضرم فى صدرى ؟
آه ما أقسى ألمى ! ربى أين أنت ؟
أما تصغى لدعائى ؟ أتبصر ما أنا فيه ؟
أما ترثى يا رب لآلامى ؟
إن لم تشفق يا رب على فأشفق على دينك !
أنفقت شبابى فيك ومالى وأنفس ما
ملكته يمينى ، وأسهدت فى ظلمات الليل

عيونى ، وضيعت أملاكى وبلادى ،
وعادانى فيك آلى وقومى وأصحابى ،
وتفرق عنى قوادى ورجالى ،
أعادى فيك وفيك أوالى ،
لا آلو جهدًا فى نصرة دينك
دين الحب ودين السلام .
أمضى كل هذا يا مولاى سدى وهباء ؟
أين لطفك بى ؟ أين عونك لى ؟ أين تأييدك ؟
ربى أين أنت ؟ أموجود أنت أم شبح
ما كنت أظن إلها يسمعنى ويرانى ؟!
ليت شعرى أأنشأتنى أنت أم أنا أنشأتك ؟
أنا من صنع يمناك أم أنت يا ربى من صنع خيالى ؟
(تدخل نفرتيتى وتدنو منه)

نفرتيتى : مولاى ! حبيبى ماذا بك ؟
إخناتون : من أنت ؟ اذهبى عنى !
نفرتيتى : أنا زوجك تيتى يا مولاى .. أما عدت تعرفنى ؟
إخناتون : اذهبى ! اذهبى ! لا أريد أرى أحدًا من صنع يده !
نفرتيتى : مولاى .. حبيبى .. زوجى ؟
إخناتون : ابعدى عنى .. لا تقتربى منى لا أريد
أراك وإن كنت أجمل ما صنعته يداه !

(تخرج نفرتيتى إلى البهو وتنطلق إلى خارجه ثم تعود

ومعها أبوها آى وحور محب والوزير نخت وطبيب الملك — يقفون على باب الغرفة)

(ترعد السماء وتبرق)

أغضبت الآن لقولى ؟ أأسمعتك الآن ؟

أم هذا غضبى ؟!...

أين حبك ؟ أين سلامك ؟ ما كانا إلا

طيفًا من خيال !

وهمًا باطلا وضلالا أى ضلال !

(يسمع صوت صاعقة تخر قريبًا من القصر)

أرسلها صاعقة تطوينى — لا أخشاك .

عدت لا أرجوك فكيف أخافك ؟

سأسل السيف — سأعصى أمرك — سوف أبيح القتال

سأذبح أعدائى كهان أمون ومن

والاهم وناصرهم لا أبقى منهم نافخ نار !

إنهم ليسوا أعداءك بل هم أعدائى !

السيف السيف ! ادعو لى حور محب أين حور محب

حور محب : **(يدخل)** مولاى !

(يدخل وراءه آى ونخت والطبيب والملكة نفرتيتى)

إخناتون : مرحى هذا أنت لبيتنى .. أين سيفك يا قائدى ؟

أين حكمة سيفك ؟ دعها تمل على !

حور محب : أنا فى خدمة الحق طوع يمينك يا مولاى

إخناتون : بل فى خدمتى أنا أمنوفيس ابن أمنوفيس !

حور محب : أجل .. فى خدمة مولاى إخناتون العائش فى الحق ناشر دين الحب و دين السلام .

إخناتون : لا سلام ولا حب بعد اليوم !

حور محب : بل اليوم يوم الحب ويوم السلام

(يجرد سيفه)

سنحطم سيف الظلم بسيف العدل !

إخناتون : أجل !

حور محب : ونحطم آلهة الوادى بالإله الحق !

إخناتون : صدقت !

حور محب : وننشر دين الرب

إخناتون : على الدنيا كلها !

حور محب : عاش إخناتون العائش فى الحق

عاشق نفرتيتى زوج إخناتون !

(يقدم الملكة نفرتيتى إليه)

إخناتون : نعم عاشت تيتى ! عشت يا تيتى ..

يا أجمل من صاغت كفا ربى !

(يبسط ذراعيه لها فتعانقه باكية)

اغفرى لى يا تيتى غضبى !

(يتوجه ببصره إلى السماء)

واغفر لى يا ربى ذنبى !

ويلتا ! أين كنت وماذا قلت إلهى
تعالى قدرك عما قُلْت علوا كبيرا !
ما أجهلنى إذ ثُرت على ربى
أن أخطأت حكمته فى الناس بجهلى !
كان أجدر بى أن أسأله أن يعفو عنى .
كيف أجهل حكمته وأثورَ عليه ؟
أو لم يُرنى نورا فى كل ظلام ؟
أو لم يطْو لى نُعمى فى كل مصاب ؟
أو لم يَقْبضْ منى تادو ليخوّلنى تيتى ؟
أو لم يخسفْ من أفقى بدرًا ليُطلع شمسًا مكانه ؟
كيف أكفر نعمتهُ كيف أجحد إحسانه ؟

(صمت قصير)

(يضطرب على سريره)

أطلقونى من سجنى هذا أطلقونى !

(يشير إلى جهة الرواق)

ادفعونى ثمَّ لكى أتنسم روْح السماء !
النسيم العليل مشوقٌ إلى لقياى !
والروضُ الباسم يدعونى لأراه !

(يدفعون سريره إلى الرواق)

ربّ إن الخرافَ التى ترعى أعشاب المروج ،
والطيور التى تشدو فوق أفنان الأشجار ،

والسحب التى تجرى متبارية فى الفضاء
ترتل آى الثناء عليك !
ما أبرك هذا الغيث ! سيكسو بالعُشب آكام الوادى !

الطبيب : وسيَرحض يا مولاى عن القُطر الحمّى السارية

إخناتون : وسيُطلَق فى جوّه الرّطْب الدافى عصفورٌ سجين !!

(ينظر إلى الجانب الأيسر من الحديقة)

عجبا ! هل تَكْذبنى عينى ؟ أم أرى
حَرةً سوداء مكان الحقْل الجميم ؟

آى : تلك صاعقةٌ خرّت آنفًا فأصابته يا مولاى

إخناتون : ربّى ما أعظم إحسانك !
ما أوسع رحمتك الشاملة !
نارٌ منك خرّت على بستان لإخناتون
ولكن غيثا منك انهل لِيُنقذ من
وباء الحمّى شَعْب إخناتون بأسره .
ألإخناتون إذن أن يثور على ربه
من جرّاء حقل طوته النار و لم تطوه
وهو أولى بها فى ثورته وجحوده ؟
شكرًا لك يا ربى ! ما قيمة بستانى
إن قيس إلى شعبى ؟
الآن فهمت لماذا كان أخى
« حامل الشمس » يحمل سيفا فى يسراه !

إنّ رحمتك العظمى رحمة الجرّاح الذى
يبتر العضو كى ينقذ الجسم من قرحة ساعية .
حكمةٌ غابت عنى فانهار لها صرْح أعمالى .
(يلتفت إلى حور محب)
كم ذكرتنى يا صاح بها ـــ ليتنى أصغيت إليك !

حور محب : خفضْ مولاى عليك ! ففى الماضى عظةٌ للغدْ :
سنسل السيف الرحيم غدًا ونعزِّز دين الرب .

إخناتون : أزعيمٌ أنت بهذا يا صاحبى ؟

حور محب : فى ظلك حين تُعاف يا مولاى !

إخناتون : فى ظلى ؟ هيهات يا خلى هيهات .. انتهيت !
(يلتفت إلى الملكة)
فيم تبكين يا روحى ؟ ألأنى منطلقٌ
من هذى القيود ؟
صبرًا ! لن يطول البين .. غدًا نلتقى فى دار الخلود
(يمسح خدها بكفه)
ما أجمل هذى الدموع على خديك !
هى زادى منك إلى يوم ألقاك فى المأوى
فأرى فى بسمة ثغرك أجمل منها ياتيتى !
تيتى .. اذكرينى يا تيتى .. اذكرينى إذا
صليت العشية أو صليت الغداة !
اذكرينى فى الليلة القمراء إذا

طفق الروض يحلم فى صمت وسكون !
قبلى طفلتى الصغرى عنى فى كل صباح
لئلا ينقُصها حظها من تدليلى وحنانى !
وعليك بتاى اجعليها — كما هى لى — أمّا ثانية
تبتى .. قبلينى يا تيتى قُبلة عَلّها
لاتُشفع إلا فى الفردوس !
(**تقبله باكية**)
صبرًا لن يطول البين .. غدًا نلتقى فى السماء !
(**يشخص ببصره إلى السماء**)
ربى ! ما أعظم شوقى إليك ؟
(بجمالك تحيا العيون !) [1]
(وبنورك تشفى القلوب !)
(أيما قلب تغمر فهناك الحياة الحق !)
(لا حيلة للفقر فى قلب أنت فيه !)
أى ربى ! حقّق وعدك لى أن تجعل مصر
منار هُداك تُفيض النور على العالمين !
بلسانٍ أفصح من هذا ، وبيان

---

(١) الجمل الموضوعة بين الأقواس هى من كلام إخناتون نفسه وجدت مكتوبة على ورق من الذهب لف حول قدميه .

يَخْلد فيه كلامُك فى الآخرين !

(رب أسمعنى صوتك العذب حتى فى أرواح الشمال)

(وأعد يارب لأعضائى بهواك شبيبتها والجمال)

(مُد لى كفيّك القابضتين على الأرواح أقبّلهما فإذا أنا مبعوث حيّا !)

(**بصوت خافت**)

ربى .. ربى ! أنت .. أنت الصّمَدْ !

أنت الحى القَيوم .. الأحد

(نادنى باسمى .. فى تيه الأبد

يَعْلُ من جوفه صوتى : لبيك !)

(**يموت**)

(**ستار الختام**)

دراسة تحليلية
لشخصيات المسرحية

إخناتون

لا شك أن شخصية إخناتون هي أعظم شخصيات الرواية وأهمها فقد تحدث عنها في المقدمة وظهرت في الفصل الأول وبقيت تلعب الدور الأول في سائر الفصول التالية حتى ختام الرواية . وفي كل فصل تتضح خطوط هذه الشخصية العجيبة وتزداد معالمها إشراقا ولمعانا . نرى هذه الشخصية تتطور في الفصول تطورًا عجيبا ولكن هذا التطور يأتلف مع مختلف الحوادث والظروف التي مر بها هذا البطل أو مرت به . على أنه كان قويا في ذلك كله فهو قوى في كفره حين ماتت زوجته تادو ، قوى في إيمانه حين بعثت له في شخص نفرتيتي وقوى في ثورته على ربه حين يئس من نجاح دعوته وتبين الهوة التي كان ينحدر إليها وفي رجوعه ثانيا إلى ربه وندمه واستغفاره حيث لفظ نفسه الأخير .

شاعريته وأحلامه

لعل شاعرية إخناتون هي أبرز صفاته فهو شاعر في أقواله وأفعاله وأخلاقه ونظراته للحياة وإدراكه ما في الطبيعة من فتنة وجمال . قالت له أمه حين أخذ يصف لها مدينة الأفق ذلك الوصف الشعرى الرائع : « ما أجملها يا بني وأجمل منها شعرك هذا البديع » وترى هذا واضحا في وصفه

لذكرياته مع تادو وكيف كانت تقبله فى الأسحار وهو يتظاهر بالنوم « فيلمح فى شفتيها ارتعاش الصبى قد اختلس الحلوى من مخدع جدته الشمطاء وفى عينيها اغتباط الطفل تملأ من ثدى أمه » إلى آخر تلك الذكريات.و لم تقتصر هذه الشاعرية على نفسها بل أثرت فيمن حولها وأعدت حتى أبعد الناس عن مثل هذه الأحلام الشعرية كالمربية تاى فهى تقول فى الفصل الثانى : « ما تمنيت كاليوم عود ليالى الشباب . هذا الفرعون الصغير أرانا جمال الحياة ، وكساها من روحه أفوافا سحرية » وتقول لها الملكة تى : « حتى أنت يا تاى أمسيت شاعرة تقتفين خطا ابنى إخناتون » وهذا مادعا زوجها آى والملكة نفرتيتى إلى أن يسخرا منها فى مزاحهما معها فى حديث الزورق (الفصل الثانى) .

إيمانه

إن إيمان إخناتون إيمان عميق وما ثورته على ربه أحيانا إلا مظهر من مظاهر هذا الإيمان وما شكه إلا ضرب من اليقين معكوس فنراه (فى الفصل الرابع) بعد أن يقول فى ثورة شكه : « ربى أين أنت ؟ أموجود أنت أم شبح ما كنت أظن إلها يسمعنى ويرانى ؟ أنا من صنع يمناك أم أنت يا ربى من صنع خيالى ؟ » يعود حين يسمع الرعد فيقول : « أغضبت الآن لقولى ؟ آأسمعتك الآن ؟ » ثم يعود فيؤكد هذا الشك بقوله : « أم هذا غضبى ؟ » ولكنه لا يلبث حين يسمع الصاعقة أن يقول مؤكدا وجود الرب : « أرسلها صاعقة تطوينى لا أخشاك . عدت لا أرجوك

فكيف أخافك ؟ »

منطقه

إن إخناتون بالرغم من شاعريته يؤثر المنطق فى تفكيره وأحكامه على الأشياء فنراه يلزم هذا المنطق فى حواره مع أمه (فى الفصل الأول) ويستعمل البرهان الاستقصائىّ فى قوله : « إن كان بذا جاهلا فعلام ندين لرب جهول ؟ أو كان به عالما إلا أنه لم يكن قادرا أن يحمينا من سطوة أعدائه فعلام ندين إذن لإله ضعيف ؟ أو كان قديرا ولكنه لم يفعل فذاك أمر وأدهى أنعبد ربا ليس يغار علينا ؟ » ونراه كذلك يستعمل القضية المنطقية التى تتألف من ثلاث مقدمات كالآتى :

١ — ذكرى تادو باقية فى قلبى لا يقدر الرب على محوها .

٢ — الحب أو الذكرى أشد التحامًا بقلبى منها فمن محوها هو أعجز.

٣ — تادو مصدر هذا الحب ثم يستخرج النتيجة : « فلا بد أن تبقى مثله » ومثل هذا كثير فى الرواية . ولعل ولوع إخناتون بمنطق الفكر هذا (أو منطق أرسطو إن كان لأرسطو إذ ذاك وجود قط) وغفلته عن منطق الأشياء كانا من جملة العوامل التى أدت به إلى نهايته المحزنة .

فصاحته وقوة حجته

لكى نتبين فصاحة إخناتون وقوة حجته يكفى أن نستعرض حواره (فى الفصل الثالث) وجدله مع أمه الملكة تى ثم مع الوزير نخت ثم مع حور محب ثم مع عميد أمون وغيره من الكهنة فبالرغم من يقين أمه والوزير أن الحق معهما فى مسألة استعمال القوة مع العصاة وأنه كان على خطأ فيما يذهب إليه من فكرة السلام والحب لم يسع الملكة تى إلا أن تقول للوزير : « يا نخت أجب عنى مولاك » وأن تأسف لأن راموس لم يكن حيا فيقدر على حجاجه ولكن إخناتون لم يمهلها أن قال لها : « يرحم الرب راموس يا أماه : إن كان لشيخا فصيح اللسان قوى البيان ولكن الحق أفصح منه لسانا » ولما بدأ الوزير نخت يناقشه اعترف بعجزه قائلا : « عى يا مولاى بيانى دون بيانك » فماذا كان جواب إخناتون ؟ أجابه مؤكدا حجته : « ليس هذا بيانى ولكن بيان الحق » وينبرى له حور محب وهو أفصح هؤلاء وأقواهم حجة فلا ينال منه منالاً بالرغم من حججه النيرة فقد قال له فيما قال : « مولاى لعل الرب اصطفى فرعون رسولا له أن كان أخا سلطان يمكنه أن ينشر فى الأرض دينه » وهذه حجة جد قوية ولكن إخناتون لم يعدم تعليلا آخر لا يقل عن هذا قوة إن لم يرب عليه فقد أجابه فى الحال بلهجة الواثق : « بل كان اصطفانى رسولا له ليرى الناس بينهمو فرعونا أخا سلطان يعف عن الحرب والبغى والعدوان ويدعو إلى السلم والحب والإحسان » وكان لفصاحة إخناتون روعتها فى

قلوب مخاطبيه حتى تجعلهم أحيانا يتلعثمون فى كلامهم معه كما حدث ذلك للوزير نخت حينما بدأ يناقشه إذ ثقل لسانه بادىء ذى بدء فلم يزد على أن قال : « والحثيون » فبدهه إخناتون بقوله : « وما للحثيين ؟ » ولفصاحة إخناتون هذه صلة قوية بولوعه المنطقى ويظهر أنها أيضا كانت من العوامل التى أدت به إلى النهاية المؤلمة فقد كانت هذه الفصاحة سلاحا ذا حدين ومن الواضح أنه لو وجد فيمن حوله رجلا يفوقه أو يضارعه فى قوة حجته وقدرته على البيان لاستطاع أن يقنعه ولحوله شيئا ما عن الطريق الخطر الذى سار فيه .

رقة شعوره وشبوب عاطفته

وهذا واضح فى أثناء الرواية كلها فهو شديد الحماسة لما يقول وما يفعل وشديد التأثر بكل ما يرى ويسمع ، وحزنه الصارخ على حبيبته الأولى خير دليل على هذا ؛ وحبه الخالد لنفرتيتى أوضح مثال ومن أروع مظاهره قوله لنفرتيتى فى ساعاته الأخيرة : « قبلى طفلتى الصغرى عنى فى كل صباح لئلا ينقصها حظها من تدليلى وحنانى » .

سذاجته

يرى الدارس لهذه الشخصية طابعا من سذاجة الطفولة لايكاد يفارقها فى جميع أطوارها : يقول لأمه (فى الفصل الأول) : « حاشا

لأتون الرب الرحيم أن يأخذ منى تادو ويجنى هذا الإثم العظيم » فهذه لغة الطفل الغرير وشعوره بأن ليس فى الدنيا إلا هو وما يتصل به من أشخاص وأشياء . وتجد من هذا كثيرا فى ذكرياته من حبيبته الأولى فهو يقول : « فطفقت أقبلها قبلات الشهر الذى غابته بأيامه ولياليه فى ثغرها المعسول اللذيذ وفى وجنتيها الموردتين وفى شعرها الذهبى الجميل وكانت تعد على وكنت أغالطها فى الحساب ! » ومن هذا قوله حينما أخبرته أمه بأن المربية غابت لتعد ملابس تادو واستغرب أن تكون المربية قد علمت بأمر بعثها قبله « ويلى ! أكل الناس دروا بمجيئك يا تادو إلا أمنوفيسك ؟ » وليس طابع الطفولة هذا قاصرا على العهد الذى كان فيه أميرا صغير السن فحسب فإنا نراه (فى الفصل الثانى) حين دعا نفرتيتى لتنام معه فاعتذرت ــ يقول لها : « بل تنامين أنت معى لن يأتينى النوم إن لم تكن كفاك على رأسى » فتقول له نفرتيتى : « حسنا سأنيمك بين ذراعى يا طفلى ! » وأخذت تهدهده وتغنيه : « نم يا بنى الحبيب إلخ » ويظهر هذا الطابع أيضا فى قوله لعميد أمون (فى الفصل الثالث) : « لا تدع أبى عندى باسم أمنوفيس » .

عميد أمون : بم أدعوه يا مولاى ؟

إخناتون : ادعه نهار

ففى هذا ــ بالرغم من أنه جد كله وتثبيت لعقيدته فى أتون ــ مسحة من غرارة الطفولة . ومثل هذا ما جاء فى ثورته الأخيرة على ربه إذ يقول لنفرتيتى : « اذهبى ! اذهبى ! لا أريد أرى أحدًا من صنع يده » فعلى ما فى هذه الجملة من غضب مضطرم وثورة حانقة نقرأ فيها لغة الطفل الذى

يسقط من على كرسي فيذهب يضربه ثأرا منه .

حلمه

تظهر هذه الخلة فيه فى موقفه مع عميد أمون (فى الفصل الثالث) حين أخذ الأخير يسبه فى وجهه ويتحداه فلم يحرك من غضبه ساكنا وإنما كان يعزب عنه حلمه حين تمس عقيدته فيحمى لها يثور .

شجاعته

إن خروجه على تقاليد قومه ودياناتهم ووقوفه فى وجوه كهنة أمون أصحاب السلطة والنفوذ فى ذلك العهد مع امتناعه من استعمال قوة السلاح معهم ليتطلبان شجاعة كبيرة لا يؤتاها إلا أصحاب الرسالات . ومن أمثلة هذه الشجاعة خروجه فى نزهاته القمرية بدون حرس ولا سلاح حتى بعد ماحيكت الدسائس لاغتياله . وقد ثبت لذلك الشقى الذى أراد اغتياله وهو يتنزه وحده ليلا فما كان من الشقى إلا أن أسلم السلاح لما ألان له إخناتون القول « وساءله ماذا أغراه بقتل مليكه؟ » ومن أروع الأمثلة لهذه الشجاعة وثبته من عرشه ليقى عميد أمون من ضربة حور محب قائلا : « لا تخف يا عميد أمون فإنى معك » .

قلة خبرته بالحياة الواقعية وبالناس

لعل من أظهر الأمثلة لهذا اختياره سمنقارا ظهيرا له فى الملك وولى عهد له وهو ذاك الأحمق الضعيف وانخداعه بتقواه وصلاحه وفاته أن التقوى شيء والصلاحية للحكم شيء آخر . تقول نفرتيتى : « ياويح مريتاتون ابنتى لم تجد إلا هذا بعلا . لكن الملوم أبوها إذ اختاره صهرا وظهيرا له فى الملك فوا أسفاه إن زوجى سليم النية لا يبلو أقدار الرجال » .

نشاطه فى لعمل

كان إخناتون ـــ بالرغم من أنه رجل أحلام ـــ نشيطا فى العمل دؤوبا لا يعرف الراحة ليلا ولا نهارًا فكان يتهجد من الليل وأحيانا يقطع الليل كله سهدا وتفكيرا كما نراه (فى الفصل الثالث) إذ تدخل عليه المربية تاى لتوقظه للتهجد فتجده لم ينم بعد فتقول له : « نم قليلا إذن فكفى ما تهجدت فى أول الليل » فيجيبها : « أأنام الآن إذ استيقظت أرواح السما ، وساد السكون وشف عن النور الأبدى الحجاب ؟ حسبنا أننا سننام طويلا غدا حيث يحجبنا عن نور الشمس ونور النجوم التراب » وكان لا يبالى فى ذلك بصحته بالرغم من ضعف بنيته واعتلاله . تقول عنه نفرتيتى (فى الفصل الثالث) : « إنما هى من أجل حبيبى إخناتون فإنى أخاف عليه السوء لإجهاده نفسه دون أن يهتم بصحته أو يرحم

جسمه ، سهر ليلى وصحته تضمحل على الأيام ، لا يقر له بالنهار قرار ولا يطمئن له جنب فى الليل » وتقول : « ولقد يأتينى مكدودا فأحاول ترفيهه بالزهر أؤلفه طاقة وأقدمها له ، فيكون له الزهر شغلا جديدا يتعب فيه ، يتأمله جاهدا جهده ويحدثنى عن لطيف المعانى فيه وتسبيحة للإله : لكل فصيل من الزهر تسبيح وصلاة » .

الملكة تى

لعلها الشخصية الثانية بعد شخصية إخناتون فهى شديدة القوة حتى إنها لتكاد تطغى أحيانا على الشخصية الأولى . تحدث عنها فى المقدمة وظهرت فى الفصول : الأول والثانى والثالث وهى فى كل هذه الفصول بارزة متميزة بخلالها ومواهبها وعواطفها وسعة حيلتها ودهائها وحسن سياستها وبصرها بأحوال عصرها وناسه . فهى ملكة مدبرة وامرأة ممتازة وداعية عظيمة . راعها ما وصل إليه كهان أمون من النفوذ العظيم والسلطة الهائلة حتى كادوا يسامون فرعون فى سلطانه فأخذت على عاتقها أن تقضى على هذا النفوذ الذى أصبح يهدد مركز فرعون . نظرت إلى زوجها فوجدته حليما وديعا مشغوفا باللذة واللهو والصيد والشرب قليل الاهتمام بشئون مملكته فرأت أن تبذر فكرتها فى رأس ابنها أمنوفيس الرابع فزرعت فى قلبه من نعومة أظفاره بغض أمون وحب أتون الحق تمهيدا بذلك وتهيئة له للقضاء على الأمونيين عندما يعتلى العرش. وأخذت تتولى بالرعاية ديانة رع حور حتى التى كانت الديانة الرئيسية لمصر قبل

ديانة أمون ليسهل لها بذلك ما تطمح إليه فى القضاء على ديانة أمون ونفوذ كهنته .

بعد مطامعها وحبها للنفوذ

ترك لها زوجها تصريف الأمور وإدارة الشئون اعتمادا على قدرتها واتكالا على حكمتها وحسن سياستها . يقول الكاهن جانى (فى المقدمة) : « إن تى أصبحت فرعون فما فى مصر سواها ، تدنى من تشاء إليه وتبعد عن عطفه من تشاء . يالضيعة مصر غدا أمرها فى أيدى النساء » وتقول هى عن نفسها للمربية تاى فى (الفصل الثانى) : « كانت لى مطامع فى السلطان تزيد على مر الأيام وكان حبيبى أمنوفيس حليما وديعا وكان نفوذ رجال أمون يضايقنى فأردت القضاء عليهم بدين أتون » .

سعة حيلتها

لعل من أوضح الأمثلة لهذا ما وفقت إليه بالاشتراك مع كاهن رع من إيهام ابنها أن فى الإمكان إحياء حبيبته المتوفاة لما رأت من حزنه عليها ما أنذرها بالخطر على حياته فقد استفادت من معرفتها نفسية ابنها الخيالية التى تنزع إلى الاعتقاد بإمكان إعادتها إلى الحياة فاستغلتها فى القيام بتدبير هذه الحيلة الطريفة وكانت تقصد بذلك أن ترمى طيرين بحجر : أرادت

أن تعافى ابنها من مرض الحزن الشديد وأن تقوى مركز كاهن رع بهذه المعجزة إضعافًا لمركز كهنة أمون . وقد نفذت هذه الحيلة واثقة كل الثقة بنجاحها فيما كانت ترمى إليه من دون أن تعلم زوجها الفرعون بشيء إلا عندما أعدت كل شيء حتى لا يفسد عليها تدبيرها لما عرفت فيه من الدعابة وعدم المبالاة بعواقب الأمور . ولما رأت زوجها لا يكف عن الدعابة والمزاح فى حفلة البعث وخافت أن يشعر الأمير بحقيقة الحال أمرت رجال الجوق بالعزف لتخفى بصدح الموسيقى ما عسى أن يتفوه به فرعون من نكات تشعر الأمير بالحيلة المدبرة .

غيرتها على زوجها وعلى ابنها

تبدو لنا غيرتها على زوجها فى حوارها معه (فى الفصل الأول) فقد قالت له لما أخذ يعدد ألوان النساء : « صه صه يازير النساء يا من لا يعرف فى الحب معنى الوفاء » وبالرغم من عظيم نفوذها على زوجها لم تستطع أن تمنعه من أن يتزوج عليها نساء كثيرة أخر وهذا طبيعى فى ذلك العصر الذى كان من تقاليد الفرعون اللازمة أن لا يقتصر على زوجة واحدة وكان مما أنكر على إخناتون إخلاله بهذا التقليد واقتصاره على الزوجة الواحدة إلا أنه ليس ببدع أن يجرى ذلك الحوار فى مسألة تعدد الزوجات بين أمنوفيس الثالث وبين الملكة تى ذات السلطة والنفوذ . وكانت الملكة تى قد وضعت كل آمالها فى ابنها الوحيد فلما اشتد شغفه بنفرتيتى وطفق يعبدها حبا دبت الغيرة فى نفسها وشعرت بخلو يدها من ابنها الذى كانت

تعده ملكا لها — أضف إلى ذلك شعورها بالوحدة بعد وفاة زوجها فكان بينها وبين نفرتيتي ما يكون بين الحماة والكنة كلتاهما تريد أن يكون إخناتون لها وحدها . وكانت نفرتيتي فتاة غير عادية ، لها غرامهـا بالسلطة والنفوذ ومن ثم كان الصراع العنيف بين هاتين المرأتين اللتين كان لهما أبلغ الأثر فى حياة بطل المسرحية . ومن يرد أن يعرف نفسية الملكة تى ويتغلغل فى طواياها فليقرأ نجواها الرائعة (فى الفصل الثانى) فسيجد ثمة مجالا كبيرًا لدراسة هذه النفسية المعقدة من الوجهة السيكولوجية : نفسية أم لا يزال بها فضل من شباب مات عنها زوجها الذى كان يعبدها ولا يقضى أمرًا دونها ، وكانت قد وضعت كل آمالها فى ابنها الذى ربته على نمطها ونفثت فيه من روحها ، وكانت قد عاشت دهرًا طويلا لا تساميها امرأة أخرى فى البلاط الإمبراطورى العظيم — ترى على حين فجأة نجمة أخرى فى سماء البلاط لا تقل عنها كثيرًا فى التألق واللمعان وتشعر بنفوذها يتقلص شيئًا فشيئًا وتحس بذلك الرباط الوثيق الذى كان يصلها بابنها تفصمه يد أخرى لتفصل بينها وبين ابنها وتستأثر بـه وحدها ، فنرى هنا صورة رائعة لهذه الملكة العظيمة الحكيمة المدبرة وقد ضاع صوابها وفقدت رشدها وحكمتها إلا بقية منها تحاسبها حسابًا كبيرًا على ظلمها وشعورها الذى لا يليق بمثلها فتزيدها شقاء على شقاء . وصورة الملكة تى من هذه الناحية تمثل الحماة الغيور فى كل عصر ومكان تمثيلا صادقًا فنراها اليوم فى حياتنا الحاضرة كما رأتها العصور الغابرة : لقد بلغ من حقدها على نفرتيتي أن كانت لا تطيق ذكر اسمها فنجدها تقول للمربية تاى سائلة : « أين إخناتون أقد خرجا ؟ ماذا تصنعين هنا ؟ أين

ذاهبة أنت ؟ » ، وكان وجه كلامها أن تقول أين إخناتون ونفرتيتى أقد خرجا ؟ ولكنها أسقطت اسم نفرتيتى بدون وعى منها واكتفت بضمير التثنية فى خرجا . ثم هذه الاستفهامات القصيرة المتوالية تبين لنا الحيرة والاضطراب المستحوذين عليها . وإنا لنلمس الحسرة على الماضى فى قولها : « البحيرة .. سقيا لأيامها ولأيام أمنوفيس ! إنها كانت لى يا تاى بالأمس أما اليوم فقد أضحت لنفرتيتى ولتاى » ، وهى تحاول أن تكتم عن المربية تاى غيرتها هذه من زوج ابنها فتعلل اضطرابها تعليلا آخر وتقول : « سيفارقنى ولدى ياتاى ويتركنى وحدى أتعذب فى أخرى أيام حياتى » ، ونلمس أيضًا هذا الوجد على نفرتيتى فى جوابها لتاى لما أخبرتها بقوة زوجها آى حتى أنه كان يحملها بيد واحدة وأن فى إمكانها أن تسأل نفرتيتى فقد كانت ذات يوم حاضرة حين فعل ذلك فكادت تموت من الضحك فترد عليها الملكة : « لا حاجة بى لسؤال نفرتيتى أنت صادقة عندى .. أتجيد نفرتيتى إلا الضحكات ، وقد بلغ من غيرتها أن وازنت بين طاعة ابنها لها وطاعة زوجها وبين حب زوجها لها وحب ابنها لنفرتيتى بل ذهبت إلى أبعد من هذا فوازنت بين جمالها هى وجمال نفرتيتى وهى واقفة أمام المرآة وهى فى ذلك تفضل نفسها على نفرتيتى حينا وتتعزى بهذا وحينا تفضل نفرتيتى على نفسها . وتملى عليها الغيرة فلسفتها فى طاعة الحب العمياء وطاعة الابن البر لأمه العجوز . ولما أخذت توازن بين حب زوجها الذى كانت له زوجات أخر وبين حب ابنها المقتصر على زوجة واحدة شعرت بأنها المغلوبة فطفق « شعور تعزية النفس » الموجود فى كل مغلوب يجسم لها تلك الصورة العجيبة إذ تشبه نفسها بالعاصمة

العظيمة التي لها مدن شتى فى البلاد توابع لها ثم تقول فى لهجة المنتصرة: « أين قلبك يا ولدى من قلب أبيك ؟ أين ملكك أنت نفرتيتى من ملكى ؟ » ولما راجعتها المربية قائلة عن نفرتيتى : « ليست سوى طفلة ساذجة » أجابتها : « حسنًا دافعى عنها إنها ابنة زوجك ياتاى ، طفلة ساذجة ! ها ها أنت الطفلة الساذجة ! لو كنت مكانى لكانت عندك أثقل من أمها لو كانت تعيش » وهى حريصة على أن لا تعلم نفرتيتى بأنها غيرى منها فلما قالت لها تاى : « سأقول لها ترجوك العفو وتسألك المعذرة » ، أجابتها : « كلا لا تقولى لها شيئًا .. لا تحسبنى أشكوها إليك فتشمت فى سرها بى » ولما ذكرتها المربية بأنها كانت أوصتها من قبل بأن تكون لنفرتيتى مكان الأم قائلة : « اصفحى عنها إنها لا أم لها » كان جوابها هذا الجواب الذى يمثل القسوة وجمود العاطفة أبلغ تمثيل : « لا أم لها .. كلنا لا أم لنا يا تاى » ثم نراها تشعر بخطئها وتعود على نفسها باللوم العنيف : « عجبًا مالى أتحرق وجدا عليها ما بالى أوازنها هكذا بى كأنى ضرتها وكأن ابنى — ياللعار — زوجى . زوجة أخلصته الحب وأخلصها حبه ، أفأسلبه قلبها أو أسلبها قلبه ؟ إنها لم تنكر حق الأم على : أفأنكر حق الزوجة ظلمًا عليها ؟ » وتتذكر أنها كانت قد لعبت هذا الدور نفسه مع حماتها هى فتقول : « فعلام إذن أنحى باللوم على هذه ؟ أوَ لم أصنع بحماتى ما صنعت هذه بى ؟ ماذا صنعت بى نفرتيتى المسكينة ؟ إنها خير لى مما كنت لأم حبيبى » ثم تصيح ثائرة على نفسها وقد نفد صبرها : « ماذا يا نفس تريدينها أن تكون ؟ أتموت أتهرب من زوجها من أجل أنانيتك ؟ ربى لمَ لم تخلق لى قلبًا أطيب من هذا ؟ تبًا لك

يا قلب ما أقساك وما أصلدك ! لوددت لو أن ضلوعى لم تضطـم عليك ! ؟ »

وفاؤها لذكرى زوجها

إنها أبت أن تبرح طيبة وضحت من أجل ذلك بقرب ابنها لما انتقل إلى عاصمته الجديدة : « أتريديننى أن أغادر موطن أحلامى ومغانى حبى ومهد شبابى ؟ أتريديننى أن أبرح هذا القصر الذى شاده لى أمنوفيس وأنشأ هذى البحيرة من أجلى ؟ » وتقول فى مكان آخر : « البحيرة .. رعيًا لأيامها ولأيام أمنوفيس » ولما نهى إخناتون عميد أمون أن يدعو أباه باسم أمنوفيس (فى الفصل الثالث) لم يسع الملكة إلا أن تقول فى لهجة مؤثرة : « دعه يدع أباك بما كان يدعى به فى حياته كيف يا ولدى تنسى اسم أمنوفيس ؟ »

إيمانها

لم يكن إيمان الملكة تى بأتون وحماستها للدين الجديد من نوع إيمان إخناتون الذى كان يشعر بأن عليه رسالة يجب أن يؤديها بل كانت تتخذه وسيلة لبلوغ مأربها من النفوذ والسلطة بالقضاء على نفوذ الأمونيين ولذلك فقدت حماستها الدينية أخيرًا وصعب عليها أن تهاجر من طيبة إلى عاصمة الدين الجديد ومالت إلى مصالحة الأمونيين لما أن رأت من قوتهم

ما أيأسها من القضاء عليهم لا سيما وابنها لم يشأ أن يستعمل القوة معهم جريًا على مبادئه فى الحب والسلام فهى تقول (فى الفصل الثانى) : « لم يعد لى حتى طمأنينة الإيمان القديم ، أصبحت أرى خطئى فيما ربيت عليه ابنى من نعومة أظفاره فجلبت الضرَّ على نفسى وعليه » وهى تقول لتاى (الفصل الثالث) لما طمأنتها تاى بعصمة الرب له من كيد أعدائه : « الرب تقولين ، ما شأنه فى هذا الغلاب ؟ إن كان له رب واحد فلهم أرباب » .

تطورها فى آخر أيامها

لما انتقل إخناتون إلى مدينة الأفق واستقلت الملكة تى بقصرها الملكى فى طيبة أخذت غيرتها من نفرتيتى تهدأ كلما تقدمت بها السن وصار خوفها على مصير ابنها الذى رأت بثاقب فكرها أنه سيكون مصيرًا محزنًا ـــ شغلها الشاغل فكانت تزوره فى عاصمته الجديدة كلما هزها الشوق إليه . ونراها (فى الفصل الثالث) تقدم مدينة الأفق فيستقبلها إخناتون وزوجته استقبالا باهرا وتحول غيرتها من نفرتيتى حبًا لها وعطفًا عليها لزوال أسباب التنافس فهى تقول لتاى : « عجبًا يا تاى غدوت اليوم أميل إليها ويعطف قلبى عليها وأشعر أنى وإياها متفاهمتان نسير إلى غرض واحد » وتمنت أن لو كانت نفرتيتى بطيبة لتفوض إليها إدارة شئون القصر وتخلو هى إلى نفسها فى آخر أيامها ونراها تقول لنفرتيتى لما أن رأتها مشغولة ببناتها : « ليتنى أستطيع المقام هنا فأعينك »

نفرتيتى

لعل أبرز خلال الملكة نفرتيتى هى ذاك الدلال العذب الذى لا يكاد يفارقها فى مواقفها كلها . نرى صورًا من هذا الدلال المحبب (فى الفصل الثانى) حين كان إخناتون يناجى ربه ناظرًا تاره إلى السماء وأخرى إلى وجهها ظانًا أنها نائمة فإذا هى يقظى تستمع إلى نجواه وتلتذ ما يتفوه به من إطراء جمالها . ولما نبهها للتهجد كعادته فلم تجب وعزم على الخروج إلى البحيرة وحده بعد أن قبلها صاحت به قائلة فى دلال ناعم : « أوَتاركنى وحدى أنت إخناتون ؟ » وتتظاهر له بأنها ستعود إلى النوم فيفهم إخناتون قصدها من هذا وهو أن يقبلها مرة ثانية ويمتنع هو عن تقبيلها فتقول له : « لا تقبلنى . من قال لك افعل ذلك ؟ ما فائدتى أنا من هذى القبلات ؟ (صمت) احذر أن تقبلنى فى فمى بالخصوص وإلا نلت جزاءك ! » فقد نهته عن تقبيلها فى فمها لكى يخالفها فيفعل ذلك فلما تحداها فقبلها فى فمها جعلت تقول : « ما شعرت بها أنى نائمة » فيقول لها : « لكن النائم لا يتكلم » فتجيبه : « لكن الحالم قد يتكلم » .

دعابتها

نرى صورة من هذه الخلة فى ممازحتها للمربية تاى إذ قالت لزوجها إن المربية تشتهى أن يكون لها ولزوجها زورق مثل زورقهما يتنزهان عليه إلى

آخر الحوار (الفصل الثانى) حتى غضبت تاى وخرجت من الغرفة ساخطة .

ذكاؤها

إن نفرتيتى فتاة متوقدة الذهن لماعة الذكاء فقد أجادت تمثيل دور المتوفاة التى تعود إلى الحياة فى حفلة البعث (فى الفصل الثانى) إجادة عظيمة بالرغم من أنها كانت غير راضية عن تغيير شخصيتها وتقمصها شخصية غيرها فالحركات التى قامت بها والكلمات التى تفوهت بها طبيعية فى مثل ذلك الموقف موقف الميت يعود إلى الحياة بمعجزة . ويمكننا أن نلاحظ أن ذكاءها من ذلك النوع العملى الذى يمتاز بالسرعة والالتماع وإن أعوزه العمق . تقول (فى الفصل الثانى) عن زوجها : « قال لى يومًا يترضانى إن تادو كانت صداى فاعترضت عليه بأن الصدى يأتى بعد الصوت » (وفى الفصل الرابع) عندما نظرت فى عينى إخناتون فلم تر شيئًا واقترح عليها أن ينظر هو فى عينيها كعادته بادرته بقولها : « وأرى أنا صورة عينى فى مرآة أليس كذلك يا زوجى ؟ إبغينى مرآة يا تاى ! » فتأمل هذا الذكاء العملى السريع .

اعتدادها بنفسها وشعورها بجمالها

بكت بكاء مرًا لما حملت على تغيير هيئتها واسمها فنرى الملكة تى تسأل

تاى التى كانت تقوم بإصلاح نفرتيتى : « ساءها تغيير اسمها ؟ » فتجيبها تاى : « واستاءت لتغيير هيئتها أيضًا إذ رأيت الدمع يجول بعينيها لما نظرت وجهها فى المرآة فارتجفت شفتاها تتمتم : شوهتمونى لقد كنت أجمل منى اليوم ! » (الفصل الأول) ونراها فى الفصل الثالث تحدث نفسها : ما بالك تأبين الأنثى ؟ ستكون فتاة ساحرة الحسن مثل نفرتيتى أمها » .

شعور الأمومة فيها

اكتملت فى نفرتيتى كل صفات الأنوثة وطبائعها فهى أنثى قبل كل شيء ولهذا نرى شعور الأمومة فيها قويًا جدًا.ولما حملت للمرة الأولى جعلت تجس بطنها من حين إلى حين فرحة مستبشرة تنتظر بفارغ الصبر قدوم المولود السعيد وقد أعدت له ملابسه منذ شهور الحمل الأولى وطفقت تنشر هذه الملابس وتقبلها تجد فى ذلك سعادتها على أنها كانت تشعر بشيء من الحياء فلا تحب أن يراها أحد تفعل ذلك حتى زوجها .

خيالها

وهنا يجرى خيالها الخصب مطلق العنان فتنظر إلى كمى ثوب الطفل كأنما لم تشهدهما من قبل ويوحى لها ذلك أن سيكون لطفلها يدان كسائر الناس « وعشر أصابع حمر صغار » وهذه النجوى تصور تصويرًا صادقًا حالة الفتاة اللعوب وقد غمرتها نشوة الفرح واسترسلت فى أحلامها

اللذيذة باستقبالها طورًا جديدًا من حياة الأنثى ووقوفها على عتبة الأمومة المقدسة . وما تمنيها أن يكون الجنين ذكرًا إلا ضرب من الرغبة فى تأكيد هذا الشعور الأمومى بإنتاجها شيئًا يختلف عنها وإن فاتها إدراك هذه الحقيقة السيكولوجية وفسرتها تفسيرًا آخر هو أنها تريده غلامًا ليكون ولى العهد لمصر على أن كبرياءها أوحت إليها أن تبقى « خط الرجعة » مفتوحًا فيما إذا خاب أملها وأتت بأنثى فقدمت المعاذير تعزية لنفسها إذا خانها الحظ — على خوف شديد .

غيرتها

ومن مظاهر أنوثتها تلك الغيرة الجامحة أو الحمقاء كما تسميها هى وقد أرهفت هذه الغيرة خيالها كما ضاعف هذا الخيال القوى من غيرتها ومن ثم نراها تغار من ذكرى تادو وتعتبرها ضرة كأنها ما تزال باقية فى قيد الحياة مع أنها لم تر لها وجهًا من قبل.وبالرغم من ثقتها بحب زوجها إياها حبًا يقرب من العبادة ولكنها أنثى قبل كل شىء كما ذكرت والغيرة من طباع الأنثى أو إذا شئت فقل إنها حاجة من حاجات الأنثى لا تستطيع أن تستغنى عنها فإذا لم تجد لها متعلقًا فى العالم المحسوس أخذت تخلق من خيالها صورة تتعلق بها غيرتها لترضى فيها هذه النزعة الغريزية فى الأنثى .
إن نفرتيتى لما رأت زوجها لا يحب امرأة أخرى سواها فتغار عليها منها — وكان لا بد لها من إرضاء هذه الغريزة — أخذت تتعلق بأذيال تلك المرأة التى كان زوجها قد أحبها يومًا ما حبًا شديدًا وإن كان قد سلاها بحبها هى

فصوبت إليها سهام غيرتها النارية وأبت إلا أن تزعجها فى مرقدها الأخير .

حبها للسيطرة والنفوذ

وقد كان لهذه الغيرة العمياء من شبح تادو ولرغبتها فى السيطرة والنفوذ المطلق والاستقلال بشئون القصر دون أن ينافسها منافس حتى حماتها تلك الملكة العظيمة الواسعة النفوذ — أثرها فى حياة إخناتون إذ حرضته على ترك العاصمة القديمة بدعوى أنها تربة غير صالحة لدعوته الدينية الجديدة وأنها تخشى عليه من كيد الأمونيين وتآمرهم لاغتياله وقد استعملت لذلك — بوحى من ذكائها العملى من حيث لا تشعر طريقة الإيحاء إليه فيما بين النوم واليقظة فغنته تلك الأنشودة وهى تهدهده لينام — :

نم يا بنى الحبيب ‏ ‏ ‏ نم فالصباح قريب
واحلم بمهد جديد ‏ ‏ ‏ فى ظل قصر مشيد
فى سهل أرض بعيد ‏ ‏ ‏ كل ضحى فيه عيد
مدينة من ضياء ‏ ‏ ‏ ليس بها أشقياء . ‏ ‏ ‏ إلخ

وهذا ما جعل إخناتون لا يشعر بأنها أوحت إليه بالفكرة بل يعتقد أنها أمر صادر من الرب يجب عليه تنفيذه.وقد فهمت الملكة تى بذكائها ودهائها الخارقين هذه الحقيقة التى خفيت على المربية تاى وكانت من الأسباب التى ضاعفت غيرتها من نفرتيتى ووجدها عليها فهى تقول

عنها : « إنها لتريد الشيء لما فيه مصلحة فيخيل لا بنى أن الرب يريده » وقد تنفست الصعداء ، لما علمت أن إخناتون لم يطع نفرتيتى فى مسألة تجهيز حور محب للقضاء على الحركات الثورية بسوريا وكان ذلك من الأسباب القوية لخمود نيران غيرتها منها وشعورها بالعطف عليها كما سبق .

جمالها

ولهذا صلة قوية بجمالها الساحر الذى عليه خاتم السماء وطابع المعنى الإلهى وحسبه أنه رد إخناتون إلى حظيرة الإيمان بعد أن تاه عنها وضل وأوحى إليه تلك المناجاة الصوفية (فى أول الفصل الثالث) التى ترينا إلى أى حد أرهف هذا الجمال شعوره بفتنة الطبيعة وجمال الكون ونظامه العام مما أدى به فيما بعد إلى فكرة الحب والسلام بين بنى البشر جميعًا باعتبارهم إخوة من أب واحد هو الرب الذى خلقهم جميعًا . وإنا لنعجب كثيرًا حين نرى هذه الصلة الوثيقة بين فكرة الرب وفكرة الجمال عند إخناتون أو بعبارة أصرح بين الرب وبين نفرتيتى عنده حتى يكادا يتحدان أحيانًا كما نرى ذلك (فى الفصل الرابع) حينما ثار غاضبًا على ربه فهو يقول لنفرتيتى : « من أنت اذهبى عنى .. ابعدى عنى .. لا تقتربى منى لا أريد أراك وإن كنت أجمل ما صنعته يداه » ولما تبين خطأه وأراد أن يستغفر ربه استغفر نفرتيتى أولا : « اغفرى لى يا تيتى غضبى ! (يتوجه ببصره إلى السماء) واغفر لى يا ربى ذنبى ! »

ولنعد لغيرتها وخيالها ثانيًا فنقول إنه بلغ من شدة غيرتها أن عزمت على الانتحار حين يموت إخناتون لئلا تستقبله تادو قبلها فى السماء ولم تعدل عن عزمها ذلك حتى أراها ذلك البرهان المعجز على أن حبه العظيم قد استطاع بقوته الهائلة أن يوحد شخصيتيهما فلم تعد تادو فى السماء ولكنها كانت تعيش فيها على الأرض ومن طريف أمر هذه الغيرة ما نراه فيما دار بينها وبين تاى (فى الفصل الرابع) من الحوار فقد كانت تفسر ما تقوله تاى تفسيرًا آخر يتفق مع وساوس غيرتها وأوهامها . تقول لها تاى : « يا للغيرة الحمقاء .. تغارين من طفلة ماتت لم تجز سن إحدى بناتك » وهى تعنى أنها كانت طفلة ليس لها كبير شأن فتقول نفرتيتى : « طفلة لم تجز سن إحدى بناتى .. هى خير منى إذن هى أصغر منى سنًا » ولما قالت لها تاى : « خلى وساوسك يا هذى إنها بعد أكبر سنًا منك ألم تتزوج من قبلك » فسرت هذا أيضًا تفسيرًا غير مقصود فأنشأت تقول : « قبلى ! حقًا كانت زوجه قبلى .. كان صاحبها قبلى ، هى أولى بهذا الزوج إذن منى ! »

أمنوفيس الثالث

تحدث عنه فى المقدمة كوديع حليم مشغول بملذاته وملاهيه وإن كان يضمر البغضاء لكهنة أمون إلا أن موقفه تجاههم كان سلبيًا . وظهر فى الفصل الأول مصدقًا لما قيل فيه من حب اللهو والمجانة والاستخفاف بكوارث الحياة والنظر إليها من الجانب المضىء . وبالرغم من قصر الدور

الذى لعبه فى الرواية فقد تحددت شخصيته ووضحت وضوحًا لا معًا فهو يسخر من اندفاع ابنه الأمير فى الحزن « على زوجة مثلها فى النساء كثير » سخرًا فيه شىء كثير من العطف وهو يرى أن الاقتصار على امرأة واحدة ظلم للنفس وتفويت للذة لأن النساء ألوان كألوان الطعام والشراب فللشقراء مذاق وللسمراء مذاق إلخ وأن لكل امرأة جانبًا من الحسن ولونًا من الفتنة لا يوجدان فى أختها فمن حق القادر الذى يستمتع بما تصل إليه يده من هذه الألوان يقول هذا فى بساطة تامة لزوجته العظيمة فلا يسعها إلا أن تغضب : « صه صه يا زير النساء يا من لا يعرف فى الحب معنى الوفاء » ولكنه يجيبها على هذا فى سخرية لاذعة : « الوفاء ؟ لمن ؟ للنساء ؟ وهل أوفى منى للنساء ؟ . من يهواهن هواى ويصبو إليهن مثلى ؟ » ويجرى ذلك الحوار الطريف بينهما فى معنى الوفاء وفى موقف الرجل والمرأة منه . وهو يسخر من تأميل الملكة فى أن يقضى ابنها يومًا ما على كهان أمون . يا حبيبتى الحسناء لأعجب مما تقولين ، أترجين من مثل هذا الغلام الضعيف المهين أن يقضى يومًا على كهان أمون الذين تخافين منهم على فرعون ؟ » ونراه يحس بدبيب الشيخوخة فيه فيجزع لأنه لما يستكمل نصيبه من لذة الحياة ثم يعزى نفسه بأن ما يشعر به من السآمة إن هو إلا حالة عارضة : « كلا يا روحى إن شبابى لما يمت ، إنه نائم لا توقظه إلا شفتاك (يقبلها) » وإنا لنكاد نلمس روح المرح وخفة الطرب فى كلماته إذ يقول : « هل هيىء مقعدنا تحت ظل الأيك كأمس ؟ وهل صفت أكواب اللجين » ثم فى وصفه للخمر البابلية وفى اقتراحه على الملكة أن ترتدى الحلة الحمراء التى تتفزز مثل الدم المسفوح ولا تلويث

وتضرم كاللهب المشبوب ولا من حريق ومن الطبيعى على هذا التباين العظيم بينه وبين ابنه الأسيف أن لا يميل إليه الأمير « إنه لا يعطف يا أماه على أحزان فؤادى بل يبسم فى وجهى كالساخر منى » ونرى صورة ممتعة لدعابة هذا الفرعون فالمرح فى حفلة البعث إذ يهمس للملكة : « مسكين هذا الغلام الخيالى يحسب أن الميت يرجع حيًا ؟ حرام عليكم لسوف تردونه مجنونًا » وتحاول الملكة أن تصرفه عن ذلك فيمضى فى دعابته : « أخشى أن تعطس أو تتحرك قبل الأوان فيبطل تدبيركم .. مايخيل لى أنها تتحرك » .

حور محب

تظهر شخصية هذا القائد الشاب فى الفصلين : الثالث والرابع وتلعب دوراً كبيرًا فى المسرحية هو دور الرجل الحكيم الذى أحس بما يتهدد مصير مولاه ومصير الإمبراطورية من عوامل الفناء والاضمحلال فحاول أن يقف دون الكارثة ولكن جهوده ذهبت سدى لأنه لم يستطع إقناع إخناتون برأيه وكان إخلاصه لفرعون يمنعه من الافتئات دونه على قدرته على ذلك لو شاء لأنه كان أكبر القواد وأشجعهم وأقواهم شخصية وأكثرهم رجالا .

إخلاصه

عرف كهان أمون هذه القدرة فى حور محب فاستمالوه إليهم وعرضوا

عليه العرش إذا هو انضم إلى جانبهم ولكنه أبى ذلك إخلاصًا لمولاه وبقى معه إلى النهاية ينصحه ويحوطه حتى تفرق عنه رجاله حين ساءت الحالة الاقتصادية للدولة وبدأت خزينتها تفرغ وقلت أرزاقهم فلم يقلل ذلك من إخلاصه لفرعون وثباته معه وظل يكتم الحقيقة المؤلمة عنه حتى فضحها سمنقارا بين يدى إخناتون .

حكمته

إن حور محب رجل حكيم بصير بموارد الأمور ومصادرها وهو يفهم نفسيات من حوله فهمًا دقيقًا . مثال ذلك أنه لما مثل بين يدى الملكة تى رأى أن يقى واقفًا محافظة على التقاليد الملكية القديمة التى إن أبطلها إخناتون جريًا على عادته فى حب البساطة وكره الرسوم التقليدية فإنه يعرف أن الملكة تى لا تزال تحبها وتميل إليها حتى إذا دخل إخناتون وأمره بالقعود لم يسعه إلا الامتثال وبذلك أشعر الملكة تى بحسن أدبه وطاعته معًا . وفى الفصل الخامس حينما ثار إخناتون ثورته النفسية العنيفة وأنكر حتى أحب الناس إليه عرف هو بحكمته وإدراكه لنفسية إخناتون أن لا يعارضه بل يجرى معه فى الحوار فى براعة نادرة ولطف عجيب حتى يستدرجه إلى ما يريد فكان أن رجع إخناتون إلى صوابه من حيث لا يشعر :

حور محب : أنا فى خدمة الحق طوع يمينك يا مولاى .

إخناتون : بل فى خدمتى أنا أمنوفيس ابن أمنوفيس !

حور محب : أجل فى خدمة مولاى إخناتون العائش فى الحق . ناشر دين الحب ودين السلام .

إخناتون : لا سلام ولا حب بعد اليوم !

حور محب : بل اليوم يوم الحب ويوم السلام .

(يسل سيفه)

سنحطم سيف الظلم بسيف العدل

إخناتون : أجل ..

حور محب : ونحطم آلهة الوادى بالإله الحق !

إخناتون : صدقت

حور محب : وننشر دين الرب ..

إخناتون : على الدنيا كلها !! ..

ونلاحظ أن هذه الحكمة هى حكمة القائد الحربى المحنك البصير بخطط الحرب وحركات العدو يتقهقر ليفسح المجال لعدوه حتى إذا تقدم طوقه من جميع نواحيه فلم يدع له مهربًا .

فصاحته وقوة حجته

نرى مثلا منهما فى حواره (فى الفصل الثالث) مع إخناتون فقد بلغ منه ما لم يبلغه غيره وعرف كيف يضرب على الوتر الحساس فى قلب إخناتون إذ أفهمه أن رأيه فى استعمال القوة إنما هو لمصلحة الدين نفسه فما وسع إخناتون إلا أن يعترف بأنه كلام حكيم فأجابه حور محب :

« ليست هذه حكمتي بل حكمة سيفي » ردًا على قول إخناتون للوزير نخت حين فلجه في الجدل : « ليس هذا بياني ولكن بيان الحق ! »

أدبه

نرى مثالا من أدبه في حواره المذكور إذ قال له إخناتون : « أاعتراضا على حكمة الرب يا حور محب ؟ » فأجابه : « لا اعتراض على حكمة الرب يا مولاى غير أني أرتاب في فهمنا حكمته . » بدلا من أن يقول : « في فهمك حكمته » وقد فطن لذلك إخناتون وأثنى على أدبه الجم .

تاى

تمثل تاى دور المرأة التي تزوجت بعد أن مكثت دهرًا طويلا عانسًا فهي فرحة بهذا الزواج مسرفة في الإعجاب بزوجها تشعر أحيانًا بالأسف الشديد على ما مضى من شبابها سدى : « أيام الصبا المنضورة واأسفاه عليك » وقد تأثرت بشاعرية إخناتون ورومانسيته تأثرًا كبيرًا جعلها شديدة الإعجاب بمواقفه الغرامية مع نفرتيتي فتحاول تقليدهما في ذلك مع زوجها غير شاعرة بما بينهما وبين الحبيبين الشابين من التباين في كل شيء فهي تقول : « هذا الفرعون الصغير أرانا جمال الحياة وكساها من روحه أفوافا سحرية .. سأفاجىء زوجي الآن هنالك عند البحيرة يرعاها وحده فسأرعاها معه في هذا الهدوء الجميل ، وتدير شهى

الأحاديث ما بيننا مثلما يفعلان لعمرى لهذا شيء بديع » .

وما كانت لتتأثر بشاعرية إخناتون كل هذا التأثر لولا حبها الجديد الذى فتح عينيها فجأة على بعض مافى الحياة من جمال .

حبها لإخناتون

وهى تحب مولاها حبًا شديدًا كما أن إخناتون يبادلها هذا الحب ويعتبرها أما ثانية : « أين ولت مربيتى ما رأيت لها وجهها منذ أمس سأمضى لتبشيرها ستطير سرورًا » ويقول لنفرتيتى وآى لما أغضباها : « فيم أغضبتماها ؟ ألم تعلما أنها بمكانة أمى ! » ولما حضره الموت جعل يوصى نفرتيتى بها خيرًا .

سذاجتها

نرى لها فى الرواية أمثلة كثيرة فهى تقول لما أصلحت نفرتيتى فى قصة البعث : « لولا حور فى عينيها حرت فى شأنه » . وتقول للملكة تى لافتة نظرها إلى أن نفرتيتى ليست ثيبًا كتادو : « لكن هذه لا تعرف .. » ، ومن مظاهر هذه السذاجة تأكيدها للملكة تى (فى الفصل الثانى) أن زوجها لا يزال به فضل من شباب « وهو يا مولاتى أيضا شديد البأس قوى .. إن كان ليرفعنى هكذا بيد واحدة » ولما اعتذرت للملكة عن نفرتيتى بأنها طفلة ساذجة قالت لها الملكة : « طفلة ساذجة ! ها ها أنت الطفلة

الساذجة ! » وهذا الغرام فى تاى بأن ترى زوجها لا يزال فى مقتبل الشباب هو ما أملى عليها أن تقول لما علمت بحمل نفرتيتى : « ويل لك يا آى عما قريب تصبح جدًا » ومن سذاجتها المضحكة أنها مع شدة حزنها لمرض إخناتون الأخير لم تتمالك إذ رأته يطالع اللانهاية فى عينى نفرتيتى أن قالت : «آه ياليت آى يرى فى عينى شيئا »

إيمانها

لعلها كانت أقوى الناس إيمانًا برسالة إخناتون وأشدهم تحمسا لدعوته الجديدة فهى تؤكد فى مواقف كثيرة يقينها بأن له ربًا يحميه من كيد الكائدين غير مقيمة أى وزن للظروف الحرجة التى كانت تلابسه فإيمانها كان ساذجا مثلها . وهى تحب نفرتيتى زوجة مولاها وابنة زوجها ولكنها فى الوقت نفسه شديدة الولاء للملكة تى فكان موقفها بينهما حرجا تحاول أن تصلح ذات بينهما بكل ما أوتيت من قوة فكانت تكتم عن كلتيهما ما تقوله الأخرى فى حقها .

سمنقارا

بالرغم من قصر الدور الذى لعبه سمنقارا فقد ظهرت شخصيته ظهورًا عجيبا فهو يمثل شخصية الأحمق المدل بنفسه وبمكانته من فرعون كصهر وظهير له فى الملك وهو يعجب كيف لا يحترمه الناس جميعا لمنزلته

هذه وقد جعل من وُكده أن يخبر إخناتون بكل ما يحدث فى الدولة بدون ما نظر إلى ما يحدثه هذا الإخبار من التأثير السيىء عليه فى تلك الحالة المرضية الخطرة وكانت حجته فى ذلك أن المريض نفسه كان يشتهى أن تنهى إليه هذه الأخبار وغاب عنه أن الواجب فى سياسة المريض أن لا يجاب إلى ما يخشى أن يزيد فى مرضه وإن ألح فى طلبه . تقول نفرتيتى عنه : « ياويح مريتاتون ابنتى لم تجد إلا هذا بعلا ! » ومن حمق هذا الرجل أنه لما منعه حور محب من الدخول على إخناتون صاح بأعلى صوته : « عمى ! عمى ! » كأنما كان يريد أن يقوم له المريض المشرف على الموت ليخلصه من يد الممسك بتلابيبه . ولما أطلقه حور محب لم يكتف بالدخول حتى قال له « ما شأنك أنت ؟ ألست ظهيرًا له فى الملك ! » فأجابه حور محب حانقا : « بلى يا ليتك تشركه أيضا فى الموت » ومن صور حمقه المضحكة قوله لنفرتيتى وهو يصافحها : « سلاما سيدتى من مريتاتون ومنى .. لا بل منى أولا أنا أولى منها بالتقديم » ثم يسترسل فى لغوه فيقول : « هى مشتاقة أن تراك ستأتى اليوم إليك .. انصحيها سيدتى إنها دائما غضبى » ولكن نفرتيتى لم تجبه ببنت شفة فيلتفت إلى تاى قائلا : « وسلاما أيضا عليك وإن كان زوجك يهضمنى قدرى .. ذنبه هو لا ذنبك ! » فانظر إلى سوء أدبه مع أم زوجته الملكة نفرتيتى إذ يقول هذا متغافلا عن أن زوج تاى هو والد نفرتيتى .
كان موقف سمنقارا موقف النافخ لنار الحريق فقد كان يبطل كل تدبير يقام لتخفيف وقع الكوارث على نفس إخناتون وكأنما كان يجد لذة عظيمة فى شب تلك النار فى نفسه وله فى هذه الخطة براعة نادرة وذكاء عجيب .

هو ماهر فى الدس وإفساد قلب فرعون على رجاله فقد استغل موقف حور محب وآبى فى إخفائهما الحقائق المؤلمة عن إخناتون إشفاقا عليه منها فذهب يفسر ذلك لإخناتون بأنهما كانا يكذبان : « لاتثق برجالك يا مولاى فهم إما كذاب أو خوان » ولما ثار إخناتون ثورته النفسية وأمر من حوله بالابتعاد بقى سمنقارا معتذراً بأن الواجب عليه أن لا يترك عمه وحده و لم يشأ أن يبرح الغرفة بالرغم من إلحاح إخناتون عليه بمغادرتها حتى جره حور محب جرًا وذهب به فزج به فى سجن .

آى

كهل قوى البنية بقى أعزب بعد وفاة زوجه أم نفرتيتى حتى إذا ما رأى ابنته قد بلغت سن الزواج فكر فى أن يتزوج من تاى مربية الأمير . وكان حسن التأنى للأمور فقد اغتنم فرصة مفاتحة الملكة تى له فى أمر تزويج ابنته للأمير فاستشفع بها فى أمر زواجه من المربية تاى . تقول الملكة تى عنه : « ويل له من شيخ لم ينسه حظ ابنته حظ نفسه » ولعله كان يروم بهذا الزواج أن يزيد صلته بالقصر قوة ومتانة فقد كان مربيا لجياد الأمير فعلت منزلته لما تزوج الأمير من ابنته وتزوج هو من مربية الأمير وكان فيه دعابة وظرف نراهما فى ممازحته لزوجته تاى بالاشتراك مع ابنته نفرتيتى فى حديث الزورق فهو يقول : « لم يبق سوى أن نبصر تاى على زورق يتهادى بها فى اليم ! .. فتناغى النجوم معى وتقص على حديث السماء وتطوقنى بذراعيها البضتين ونعود كما كنا شابين فتيين » ولما غضبت تاى

قال هو : « يالى منها إن لم أطرها تغضب منى وإذا أثنيت على حسنها حسبتنى أسخر ! » وهذا الموقف يرينا أن صلة نفرتيتى به كانت أقرب إلى صلة الصديق بصديقه منها إلى صلة الأب بابنته فليس فيها ذلك التحفظ والتزمت اللذان يكونان عادة بين الأب وابنته .

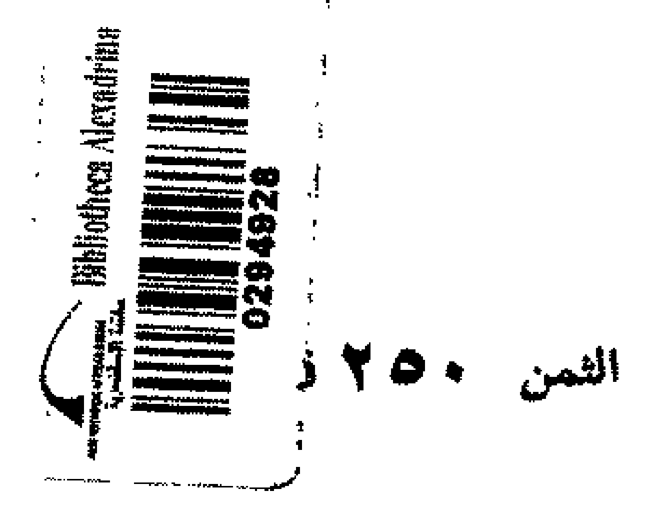
عميد آمون

كان داهية واسع النظر عظيم المكر . بقى صامتا حين تداول الكهان الحديث فى الخطر الذى يتهددهم (فى المقدمة) حتى أراهم أخيرا أن الخطر الحقيقى ليس من أمنوفيس الثالث ولا من الملكة تى وإنما سيأتى من ذلك الأمير الصغير الذى ظل هو قرابة شهر يراقبه من بعيد فى غدواته وروحاته ويدرس نفسيته حتى عرف أنه سيكون ذلك الفرعون الكاهن الذى يقضى على معبد أمون مؤكدا لهم أن الخطر الحقيقى إنما يأتى ممن يجمع فى يده بين السلطتين الدينية والزمنية . وكلمته فى ختام الفصل « ليت فى وسعنا أن ننزع من أمنوفيس ما كنت نزعت من الصل هذا يا رانى » تنم عن هذا الحقد الدفين الذى تضطرم عليه جوانحه . أما سعة حيلته فتظهر لنا فى قدرته على استمالة كثير من قواد فرعون إليه وفى اختياره الوقت المناسب لكل هذا حين ساءت حالة المملكة الاقتصادية.وقد أحسن الاستفادة من فكرة إخناتون السلمية فمضى يعمل فى محاربته آمنا من امتداد يده إليه بالأذى وقد فهم ببصره النافذ أن إخناتون رسول حقا وأنه لن يعدل عن فكرته فى الحب والسلام بحال من الأحوال وأن أحدا لن

يصرفه عن ذلك فتجرأ عليه فى موقفه معه لما قدم عليه فى مدينة الأفق مع وفد الكهان حتى عيل صبر حور محب من جرأته على فرعون وسوء أدبه فى مخاطبته ونرى صورة من مكره فى قوله للملكة تى « ازدانت أخيتاتون بمولاتى الكبرى لكن عطلت من زوجة أمنوفيس مدينة أمنوفيس » فقد كرر كلمة أمنوفيس قاصدا تذكير إخناتون بأمون وليريه ويرى والدته الملكة تى عظم ما جاء به إخناتون من هذا البدع الجديد حتى حمله على أن لا يطيق سماع اسم أبيه يلفظ أمامه . وقد بلغ غرضه من ذلك لأن الملكة تى قالت لابنها لما اعترض عليه « دعه يدع أباك بما كان يدعى به فى حياته كيف يا ولدى نتسى اسم أمينوفيس ؟ » ثم قال رئيس الكهنة فى خبث ومكر « إنى آسف أن أزعجت مولاى باسم أبيه » ولما رحب إخناتون بالوفد قائلا « أهلا بكم يا رفاق لقد شرفتم أخيتاتون » قال فى تعريض ماكر : « شكرا لك يا مولاى .. لحقا أنت رفيق لنا إذ شاركتنا فى مهنتنا السامية وتزيد علينا بفرعونيتك العالية » وهو معتز بارستقراطيته مؤمن بها أشد الإيمان ولما قال له إخناتون « ماسبك للفلاح ؟ أليس الفلاح إنسانا مثلك » كان جوابه : « الفلاح إنسان مثلى ؟ »

رقم الإيداع ٢٦٢٣ / ٨١
الترقيم الدولى ٢ ـــ ٠٤٣ ـــ ٣١٦ ـــ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



الثمن ٢٥٠ ق

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه